الفصل الثاني

التاريخ الحضاري لموقع شِرْثْ

أولاً: حضارات منطقة دَادَان (العُلا)

١–أثر العلاقات المكانية في قيام حضارات منطقة دَادَان (العُلا)

لعب موقع محافظة العُلا في شمال غرب شبه الجزيرة العربية، دوراً جوهرياً في جعلها إحدى مناطق نشوء الحضارات في العالم القديم، إذ أتاحت علاقات الموقع النسبية لحواضرها التاريخية، سبل التحرك الحضاري المبكر وتبادل مظاهر التأثر والتأثير بين عوالم مختلفة حضارة وثقافة وإنتاجاً. ويمكن تقصي أهمية الموقع في تتبع الطرق التجارية المارة بالمنطقة(الشكل رقم ١٦) :

أ) الطريق الشمالي – الجنوبي (طريق البخور)

وهو من أعظم الطرق التجارية القديمة في تاريخ العالم والذي أشتهر بطريق البخور، وكان يبدأ من موانىء جنوب وجنوب غرب بلاد العرب، حيث ينطلق من ظفار والمكلا وعدن ليتجمع عند صنعاء ويواصل خط سيره في اتجاه شبه مستقيم ماراً بمكة وجدة ويثرب فدَادَان، وعند بلوغه الحجر يتفرع إلى طريقين، يتجه الأول إلى البتراء فدمشق، وهناك يلتقي بالطريق المحاذي للساحل الشرقي للبحر المتوسط والمتجه

إلى بلاد الرافدين، ويتجه الآخر غرباً عبر أيله (العقبة)ومنها إلى الساحل الجنوبي للبحر المتوسط.وقد شبه (سترابون) كثافة وكبر حجم الحركة على هذا الطريق لا سيما في جزئه الشمالي من الحِجر إلى البتراء ثم شمال سيناء وغزة، بأنه " جيش عظيم يتحرك "(عبدالحليم، ١٩٨٢م، ص ١٥٥).

ولعل أقدم نص تاريخي عن هذا الطريق البري هو ما ورد في سفر الملوك (الاصحاح العاشر) من التوراة عن زيارة ملكة سبأ لسليمان الذي تمت عبر ذلك الطريق عندما كان السبئيون يستخدمونه من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى سوريا.

أما أقدم دليل من النقوش فيعود تاريخه إلى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد حيث يشير إلى قيام حاكم بلاد ماري بمهاجمة قافلة تجارية تخص أهل سبأ وأهل تيماء (السعيد، ١٤٢١هـ ، ص ص ٣٠-٣٢).

أما الطريق البحري الذي يسير في نفس الاتجاه فيسلك البحر الأحمر ويربط بين المحيط الهندي والبحر المتوسط.

ب) الطريق الشرقي – الغربي

يبدأ هذا الطريق من عدة موانىء على ساحل الخليج العربي كمسقط والجرهاء متجهاً إلى اليمامة في قلب نجد ثم إلى تيماء ومنها إلى دَادَان و الحجر فالبتراء.ويتصل بهذا الطريق وفي منتصفه بالتحديد عند اليمامة العديد من الطرق الدولية القادمة من أعماق القارة الآسيوية، عبر بلاد فارس وما بين النهرين ومن جنوب أوربا وموانىء البحر الأسود.

هكذا كانت منطقة دَادَان (العُلا) بمثابة مفصل يربط بين إقليمين طبيعيين حضاريين هما الإقليم الموسمي ويشمل جنوب غرب بلاد العرب وشرق إفريقيا والهند والصين وتسمى تجارته بالتجارة الشرقية، والإقليم المعتدل وهو إقليم البحر المتوسط

بالبلاد الواقعة شرقه وغربه وتسمى تجارته بالتجارة الرومانية (زيادة، ١٩٦٢م، ص٢١٨). وكان ينقل عبر هذه الشبكات من الطرق البرية والبحرية كل ما خف حمله وغلا ثمنه. فمن الجنوب إلى الشمال يتحرك تبر الذهب والصمغ والعطور والبخور من اللبان والمر والتوابل والعاج وريش النعام، ومن الشمال إلى الجنوب تنقل الأقمشة والأدوات والمعادن والملح .(حمدان ، ١٩٨٠م، ص٩٩).

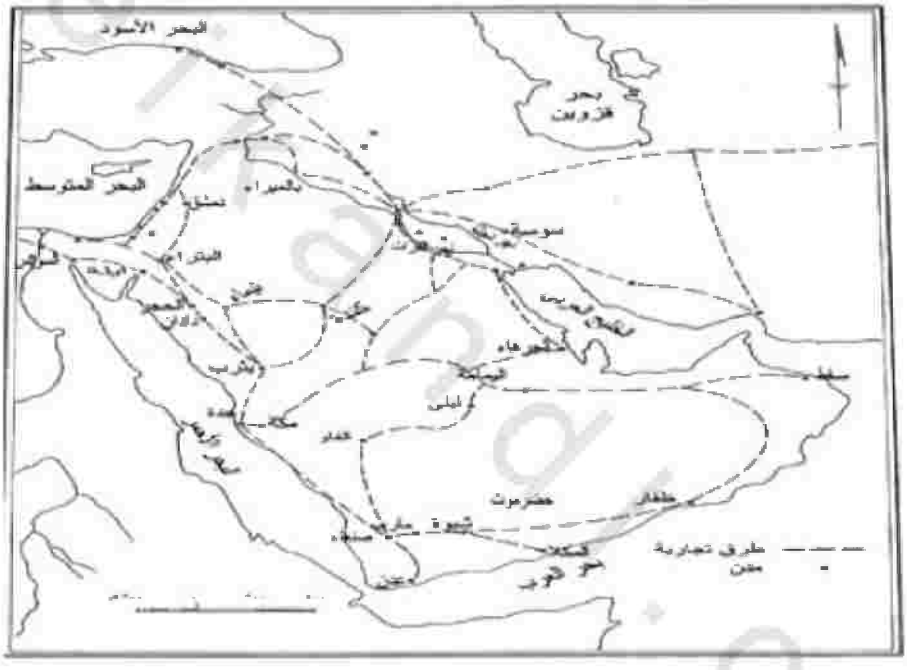

الشكل رقم (١٦). منطقة موقع دادان (العُلا) على أهم الطرق التجارية القديمة.

المصدر : العمادي ، محمد (١٩٩٧م) التجارة وطرقها في الجزيرة العربية ، مؤسسة حمادة ، أربد الأردن ، ص١٢٩.

٢- مواقع حضارات منطقة دَادَان (العُلا)

تشير الأدلة الأثرية والنصوص المكتوبة بخطوط حضارات المنطقة وما ورد في

التوراة والقرآن الكريم والمصادر الكلاسيكية، على أن منطقة العُلا كانت مركزاً سياسياً وتجارياً وحضارياً مهماً في شمال غرب شبه الجزيرة العربية .

تشتمل محافظة العلا على ثلاثة مواقع أثرية رئيسة هي : دَادَان ، الحِجرْ وقُرْحْ (المابيَّات) ، وأضاف إليها هذا البحث موقع شِرْثْ الأثري شرق مدينة العُلا، سيتم تفصيله لاحقاً(الشكل رقم ١٧).

أ) دَادَان

تقع دَادَان على بعد ثلاثة كيلومترات في شمال شرق مدينة العُلا القديمة، وشهد هذا الموقع قيام مملكتين عربيتين هما دَادَان ولحيان ، سميت الأولى بمملكة دَادَان ويعود تاريخها إلى فترة ما بين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، وحملت الثانية اسم مملكة لحيان التي يعود تاريخ قيامها إلى القرن الخامس قبل الميلاد.

كان نظام الحكم في المملكتين ملكياً وراثياً، ونظراً لتقدم مملكة دَادَان زمنياً، فإن الآثار والمعلومات عنها شحيحة بعكس مملكة لحيان التي عرف الكثير عن ملوكها وحدودها التقريبية ومظاهر الحياة بها، فقد أمكن الحصول على الترتيب الزمني لحكم أربعة عشر ملكاً لحيانياً، كما تأكد وصول النفوذ اللحياني إلى أنحاء واسعة ومتفرقة من شبه الجزيرة العربية ومنها تسمية خليج العقبة بالخليج اللحياني وكذلك انتشار الكتابة اللحيانية في الفاو في أعماق جنوب غرب صحراء الربع الخالي.

شهدت مملكة لحيان ازدهاراً اقتصادياً كبيراً خاصة في قطاعي التجارة والزراعة. وشكلت دَادَان ميناءً برياً ربط بين ممالك جنوب بلاد العرب وبلاد الشام ومصر وبلاد الرافدين شمالا ، كما احترف اللحيانيون الزراعة، فأبدعوا في بناء قنوات وشبكات الري وفي تنويع نشاطهم الزراعي بين إنتاج المواد الغذائية وتربية الحيوان.

تتنوع آثار الحضارة الدادانية واللحيانية في دَادَن ما بين الوحدات المعمارية، حيث

تم الكشف على ما يعتقد أنه قلب مدينة دَادَان المتكون من تسلسل معماري طبقي فيه عدد من الأساسات والقواعد لمنشآت دينية ومدنية متعددة الأغراض، كما تشخص في جبل دَادَان العديد من الحجرات الجنائزية المحفورة في قلب الصخر(لوحة رقم ١٦) (انظر ملحق اللوحات)، وتم العثور على مجموعة كبيرة من التماثيل بأحجام مختلفة وملتقطات سطحية من مجامر وأدوات منزلية وحُلي وفخّار.كما شكّلت الكتابات الدادانية واللحيانية والمعينية (خط المسند)والرسوم الصخرية الآدمية والحيوانية، مصادر لثروة من المعلومات عن حضارة وتاريخ المنطقة ونظامها السياسي و الاقتصادي .

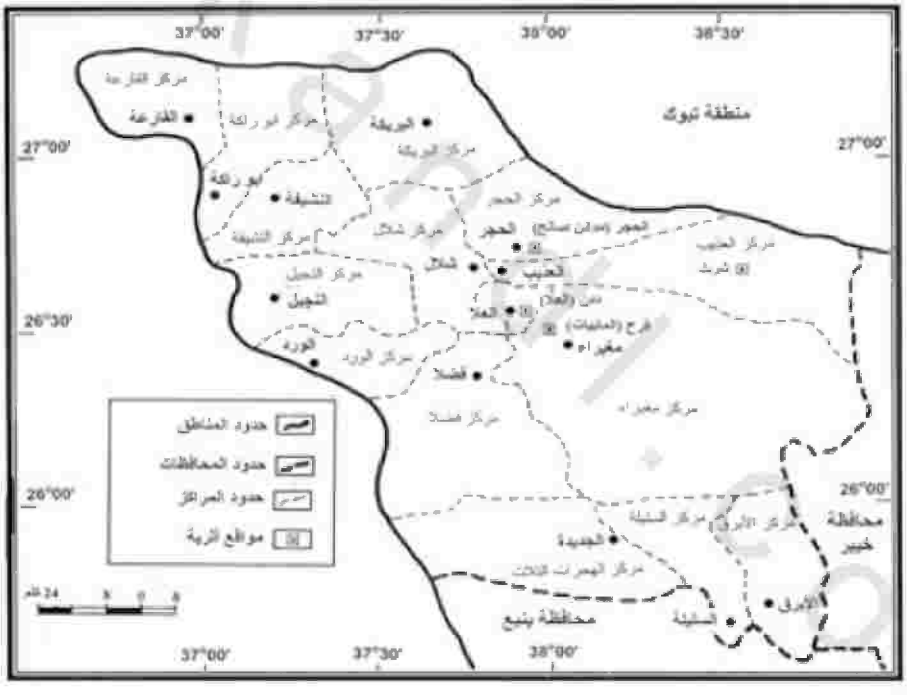

الشكل رقم (١٧). مواقع آثار حضارات منطقة دَادَان (العُلا).

المصدر : من عمل الباحثين.

ويتفق غالبية المؤرخين على أن نهاية مملكة لحيان كانت في أواخر القرن الأول قبل الميلاد على يد الأنباط الذين استولوا على الحجر ليبدأ فصلاً جديداً حافلاً في تاريخ المنطقة .

ب) الحِجرْ [1]

على بعد نحو ٢٢ كلم شمال مدينة دَادَان يقوم موقع أثري في الحجر، شهد استقراراً بشرياً موغلاً في القدم، حيث يشير القرآن الكريم إلى أن الحِجر كان مأهولا بالسكان في الألف الثالث قبل الميلاد، حيث سكنها الثموديون في تلك الفترة بناء على الترتيب القصصي للأحداث كما وردت في القران الكريم .أقام الثموديون دولة لها مؤسساتها السياسية والعسكرية والدينية، وزودنا القرآن الكريم بمعلومات ثمينة عن تاريخ وسكان وعمران واقتصاد الحِجر، إذ وردت آيات كريمة تجعل من قوم ثمود خلفاء من بعد عاد، وتشرح ما وصلوا إليه من مركز وسلطة في منطقتهم. [2]

---

(١) الحِجرْ: هو الاسم الذي ورد في القرآن الكريم (سورة الحجر) وفي جميع نقوش وكتابات الحضارات في المنطقة ،أما تسمية المنطقة (بمدائن صالح) فقد ظهرت في فترة متأخرة من العصور الإسلامية وذلك لأن الموقع كان إحدى مواطن البعثات السماوية حيث بعث الحق سبحانه وتعالى بالنبي صالح عليه السلام إلى قوم ثمود . أما صيغة الجمع على مدن –وقد أسماها القرآن الكريم مدينة– فيبدوا أنها بتأثير الانبهار من أعمال النحت البارعة في قلب الجبال المحيطة بالمدينة.

(٢) صورت لنا آيات كريمة ،المكانة التي وضع الله فيها قوم ثمود ومستواهم المعيشي المرتفع حيث السكن في القصور ونحت البيوت في الجبال والاقتصاد الزراعي المزدهر، قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الأعراف ٧٤).وقال تعالى: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ (الشعراء ١٤٦- ١٤٩). ويروي لنا القرآن الكريم كيف أن أهل الحجر أعرضوا عن أمر ربهم فحل عليهم العذاب .قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (الحجر ٨٠، ٨٢).

ويمكن تتبع تاريخ الثموديين في عدد من المصادر الأخرى فهم يظهرون في نقش آشوري يعود إلى الملك سرجون الثاني (٧٨٥-٧٢٢ ق.م) حيث ذكرهم باسم (تامودي) وأنهم من بين قبائل خاض الحرب ضدهم. وذكرت بلاد ثمود في كتب الأغريق والرومان وأطلقوا عليها اسم (آجرا) وهو تحريف واضح لاسم الحِجر.كما أفادت تلك الكتب بسيطرة الثموديين على موانىء البحر الأحمر فيما بين الوجه والمويلح (مهران، ١٩٩٤م، ص ٣٤١).

دخلت الحِجر في القرن الأول ق.م. عصراً تاريخياً جديداً بصعود نجم الأنباط[1] اللذين أسسوا مملكة عربية مترامية الأطراف امتدت من جنوب بلاد الشام حتى السواحل الشمالية للبحر الأحمر.واحتلت مدينة الحِجر مكانة كبيرة في المملكة النبطية حيث اعتبروها العاصمة الجنوبية الثانية بعد مدينة البتراء (سلع)وهي العاصمة الأولى لهم.ينحدر الأنباط من أصول قبلية عربية من وسط أو جنوب بلاد العرب .بلغ الأنباط ذروة قوتهم السياسية والعسكرية والاقتصادية خلال الفترة الممتدة من بداية القرن الأول ق.م. وحتى مطلع القرن الثاني الميلادي ، حيث أقاموا دولة واضحة الأسس ، تتمتع بعلاقات واسعة مع الدول المجاورة، كما بنوا جيشاً قوياً يتمتع بتقاليد عسكرية وقتالية، وبرعوا في الزراعة لا سيما في بناء أنظمة الري وطوروا نشاطاتهم التجارية وسكوا العملات المعدنية .

---

(١) يقدم علماء التاريخ أدلة عديدة على الأصل العربي للأنباط منها أن أسماء ملوكهم عربية كالحارث وعبادة ومالك وجميلة ، كما أنهم شاركوا عرب الحجاز في عبادة أصنام اللات والعُزّى ومَنَاة، كما أن الكتاب الإغريق والرومان أطلقوا على الأنباط اسم (العرب) وعلى أرضهم مصطلح (العربية الصخرية) (علي، ص ص ١٦٣-١٧٣).

وتعد مجموعة المقابر المنحوتة في جوف الصخور الرملية، ذروة القيمة الآثارية العالمية للحجر، في هيئة حجرات كبيرة نحتت في جوانبها وأرضيتها فتحات الدفن(لوحة رقم ١٧) (انظر ملحق اللوحات)، ولعل أهم ما تتميز به آثار الحجر ما يلي :

١-الواجهات المتماثلة حيث تأخذ الأسلوب الهندسي المتشابه في بعض العناصر المعمارية كالأعمدة المسطّحة الناتئة من الجدار ، مقامة على قواعد يعلوها تاج منحوت.

٢-تكثيف الحليات والزخارف المعمارية كالشرفات والأفاريز والكرانيش والتيجان والطيور والحيوانات، وكلها محمّلة بالقيم الجمالية والدلالات الدينية والجنائزية .

٣-النقوش المكتوبة على الواجهات بالقلم النبطي التي وثّقت تاريخ البناء أسماء الفريق الفني الذي صمَّم ونفّذ الأعمال الهندسية الصخرية، بيانات الملكية، قانون عقوبات السرقة أو الدفن فيها، وأسماء الملوك والعملة المتداولة. وكانت نهاية مملكة الأنباط على يد الرومان في عام ١٠٦ م وصارت الحجر ودَادَان إحدى الولايات العربية الرومانية، وتفرقت إثر ذلك القبائل التي كانت تسكن المنطقة.

ج) قُرْحْ (المابيَّاتْ)

على بعد ٢٢ كلم جنوب دَادَان يقوم الموقع الأثري الثالث في سلسلة التواصل الحضاري لمحافظة العُلا، فبعد سقوط الحِجر وانحسار مدّها الحضاري تحركت الأضواء والأهمية نحو موقع حمل اسماً جديداً له وللمنطقة وهو وادي القرى، وأصبحت مدينة قُرْحْ هي مدينة الوادي الرئيسة وسوقا تجارية مشهورة خلال فترة ما قبل الإسلام، وعُدَّتْ من أسواق العرب المشهورة في الجاهلية (الأفغاني، ١٩٦٠م، ص ١٩٤). وبلغت أوج ازدهارها في العصر الإسلامي حتى أن المقدسي وصفها في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) بأنها المدينة الثانية في الحجاز بعد مكة (المقدسي ،

١٩٠٦، ص ٨٤) واستمرت كذلك حتى أواخر القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي).

أسفرت أعمال الحفريات التي يقوم بها فريق علمي من كلية السياحة والآثار بجامعة الملك سعود في جزء من موقع قُرْحْ عن آثار معمارية منها سور أثري وجدران لمباني(لوحة رقم ١٨أ) (انظر ملحق اللوحات) تجلت فيها فنون العمارة الإسلامية، كطرق تبليط الأرضيات وتمديدات مياه الشرب عبر قنوات رأسية، كما تم العثور على ملتقطات سطحية تتمثل في أدوات زينة وحُلِي وأواني معدنية ونحاسية ومجامر ومسكوكات وأواني زجاجية ومعدنية وفخارية وخزفية.

دب الاضمحلال في مدينة قُرْحْ (المَابيَّات) في القرن السابع للهجرة حتى اختفى اسمها لتعود الحياة من جديد إلى دادان ولكن باسم جديد هو (العُلا) التي صارت منذئذ حاضرة الوادي الذي صار يعرف باسمها. واستمرت العُلا والحِجر محطات كبيرة للراحة والتجارة لحجاج الشام ومصر في القرون التالية.ولعل أهم آثار تلك الفترة هي مدينة العُلا القديمة التي تعد نموذجاً فريداً للمدينة العربية الإسلامية في موضعها وتخطيطها ومواد بنائها(لوحة رقم١٨ب) (انظر ملحق اللوحات).

تعددت الجهات التي تبعت لها العُلا خلال الفترة من القرن السابع الهجري وحتى القرن الرابع عشر الهجري ، فقد كانت تابعة لسلطة الأيوبيين في دمشق ثم ألحقت بولاية الشام العثمانية ، ثم دخلت تحت حكم الأشراف في الحجاز.وبعد مبايعة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ملكا على الحجاز في عام ١٣٤٤هـ، التحقت العُلا بالمناطق الموحدة للمملكة العربية السعودية .ومع صدور نظام المناطق في عام ١٤١٣هـ صارت العُلا بدرجة محافظة من فئة (أ) تابعة لإمارة منطقة المدينة المنورة. ويشتمل الهيكل الإداري للمحافظة على مدينة العُلا العاصمة ونطاقها الإشرافي و١٤

مركزاً هي : الحِجِرْ، مُغيرا، الهجَرْ الثلاث، أبو رَاكَة، السَّليلَة، الأبْرَقْ، فْضَلا، العُذيب، شَلاَلْ، البُريكَة، النُّشيفة، الفَارِعَة، النُّجيل، والوَرْدْ، يتبع لها جميعاً ٢٠٧ قرية وهجرة على مساحة تبلغ ٣١٦٢٩ كيلومتراً مربعاً (الفقير، ٢٠٠٦م، ٥٩).

ثانياً: التاريخ الحضاري لموقع شِرْثْ

ما تزال محافظة العُلا تكشف للباحثين تدريجياً عن مكنوناتها الآثارية النفيسة، وقد شهدت أرض المحافظة اهتماماً مبكراً بآثارها من الرحّالة والباحثين والجهات الأكاديمية المختلفة، الأمر الذي تمخّض عنه التركيز في التنقيب والبحث الآثاري على ثلاث مناطق رئيسة جرى الحديث باختصار عن حضاراتها سابقاً هي: دَادَان (العُلا)، الحِجْرْ (مدائن صالح) وقُرْحْ(المابيَّاتْ).

وبتوفيق من الله عزّ وجلّ تمكّن الدكتور بدر بن عادل الفقير الباحث الرئيس لهذا العمل من إضافة موقع رابع إلى المنظومة الآثارية لمحافظة العُلا، حيث كشف النقاب عن آثار موقع شِرْثْ واستكمل ذلك بحفرية إنقاذية للموقع ضمن فريق علمي جغرافي /آثاري.

يضم موقع شِرْثْ الواقعة على بعد ٥٢ كلم شرقي مدينة العُلا، العديد من المواقع الأثرية المتقاربة والمتباعدة، الأمر الذي يكشف عن استقرار بشري مبكر وحضارة متميزة، تعود لعصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية[1].

---

(١) لم يتفق العلماء على تحديد نهاية لعصر ما قبل التاريخ نظراً لأن هذا العصر لم ينته في جميع أنحاء العالم في وقت واحد، كما أن الحضارات تفاوتت في بدء تعلمها للكتابة وتسجيل التاريخ .ومن الأرجح أن عصر ما قبل التاريخ يقع في جوهره في الزمن الجيولوجي الرابع بعصريه : البلايستوسين و الهولوسين واللذين شهدا ظهور الإنسان العاقل HOMO SAPIENS المتفرد بصفاته الجسمانية والعقلية في مكان علي في شجرة الأحياء.كما أنه الزمن الذي اتخذت فيه القارات شكلها النهائي =

= واستقرت العلاقة بين اليابس والماء واجتاحت الصحراء مناطق واسعة من العالم كان من بينها شبه الجزيرة العربية (غلاب، الجوهري ، ١٩٨٤م، ص ٥٧).

وتؤكد نتائج الاكتشافات الآثارية الحديثة إلى أن النشاطات الحضارية على الأراضي التي تشغلها المملكة العربية السعودية تعود لنحو مليون سنة على الأقل، مما يبين بوضوح مساهمة الإنسان القديم الذي عاش في المنطقة في بواكير الحضارة الإنسانية، كما يضع المملكة العربية السعودية في موقع متميز على الخريطة الآثارية العالمية.وقد تمكن الباحثون من وضع تسلسل لمراحل العصور الحجرية وتقسيماتها في المملكة العربية السعودية حسب المنهج المتعارف عليه في دراسات الشرق الأدنى وأوروبا .وعلى الرغم من الإشكالات المنهجية والمعرفية التي نجمت عن ذلك مثل الحد من استيعاب التنوع أو الاختلاف الذي تحمله الصناعات الحجرية الآثارية ذات الصبغة الحضارية المحلية التي وجدت على أراضي المملكة ،إلا أنه يمكن وضع تسلسل زمني تقريبي لحضارات العصور الحجرية على النحو التالي:

• العصر الحجري القديم: (أكثر من مليون سنة–١٠٠٠٠ سنة قبل الوقت الحاضر)يقسم هذا العصر إلى (أسفل وأوسط وأعلى) بناء على نوع الأدوات الحجرية وطرق تصنيعها:

• العصر الحجري القديم الأسفل: (مليون سنة–٨٠٠٠٠سنة قبل الوقت الحاضر)تمثل هذه المرحلة المحاولات الأولى لتكوين الجماعات البشرية من الصيادين وابتكاراتهم البسيطة في تشكيل الأدوات الحجرية وممارسة الصيد .وشمل هذا العصر دورين حضاريين مهمين تميز كل منهما بتقاليد متميزه في صناعة الأدوات الحجرية وهما الصناعات الألدوانية والصناعات الآشولية:

• الصناعات الألدوانية: هي أقدم الصناعات الحجرية التي عرفتها البشرية واكتشفت أدواتها قرب الشويحطية على بعد ٤٥ كلم شمال مدينة سكاكا في المنطقة الشمالية وقرب مدينة نجران في المنطقة الجنوبية الغربية، مما يشير إلى استقرار بشري يعود لنحو مليون سنة على الأقل.وتتمثل الأنواع الرئيسة من هذه الأدوات في القواطع والسواطير والأدوات المشظاة من الفؤوس البسيطة والمعاول.

• الصناعات الآشولية: تميزت هذه الصناعة بظهور أسلوب جديد لتشكيل الأدوات الحجرية مثل تقنية الفأس اليدوية وهي أدوات مشحوذة (مشظاة) الوجهين ومدببة الرأس ومثلثة الشكل ذات طرفين حادين، إضافة لأنواع أخرى من المعاول والسواطير والمكاشط والسكاكين والمثاقب.وقد وجدت أدوات الصناعة الآشولية في العُلا في المنطقة الشمالية الغربية ونجران في المنطقة الجنوبية الغربية وجدة في المنطقة الغربية.

١- المنشآت المعمارية: المساكن والمقابر

تنوعت المنشآت المعمارية في موقع شِرْث، وتم التعرف على منشآت حجرية شيدت فوق الجبال(لوحة رقم ١٩أ) (انظر ملحق اللوحات) وعلى سفوحها(لوحة رقم ١٩ب) (انظر ملحق اللوحات)، كانت أقرب ما تكون إلى مواقع لرصد الفلك والاستدلال بالنجوم من شواهد أرضية ثابتة، وعلى تجمعات لمساكن ومدافن متفرقة تفصل بينها مسافات قصيرة متساوية ومذيلات ودوائر حجرية (الشكل رقم ١٨).

• العصر الحجري القديم الأوسط (٨٠٠٠٠- ١٠٠٠٠سنة قبل الوقت الحاضر)تتمثل التقنية الأساسية المميزة لهذا العصر في تجهيز أو تهيئة النوى الحجرية لشظي عدد من الرقائق (الشظايا) التي يتم انتقاء بعضها ثم تشكل بالشحذ أو التشذيب في أدوات متعددة الأنواع ذات سمات متكررة تعكس قدرات أكبر في عمليات التصنيع.وتعرف الباحثون على طريقتين متميزتين في تجهيز النوى هما الطريقة اللفالوازية والطريقة الموستيرية، ووجدت أغلب الأدوات المنتمية لهذا العصر في الجوف وسكاكا في المنطقة الشمالية وفي ظهران الجنوب وتثليث في المنطقة الجنوبية الغربية وفي الرياض ووادي الدواسر في المنطقة الوسطى.

• العصر الحجري القديم الأعلى(٤٠٠٠٠سنة- ١٠٠٠٠سنة قبل الوقت الحاضر)تعد هذه الفترة من أهم الفترات الحضارية في العصر الحجري القديم، نظراً لما حققه الإنسان من ابتكارات تقنية وفنية، ومن تمكنه من رفع مستوى معيشته، فظهرت أدوات حجرية متنوعة من المكاشط والسكاكين والمثاقب الرفيعة الدقيقة الصنع. وتنوعت موارد الغذاء من لحوم وحبوب وتوسعت أعمال بناء الأكواخ .وعثر على أدوات هذا العصر في تبوك وحائل في المنطقة الشمالية ونجران في المنطقة الجنوبية الغربية.

• العصر الحجري الحديث (١٠٠٠٠سنة-٦٠٠٠سنة قبل الوقت الحاضر) حدثت في هذا العصر تحولات حضارية كبرى غيّرت من مسيرة الحضارة البشرية، حيث تمكن الإنسان من استئناس الحيوان وتدجين النبات وصناعة الفخار وتطوير الأدوات المصقولة، فازداد عدد السكان وظهرت القرى الزراعية ثم تحولت إلى مدن ونضجت التجربة الحضارية باختراع الكتابة وتطوير نظم الإدارة المركزية وازدهرت التجارة ودخل الإنسان عهد الحضارات القديمة.وتنتشر أدوات العصر الحجري الحديث في كافة أنحاء المملكة العربية السعودية مع تركز واضح في الثمامة شمال مدينة الرياض وفي كلوة شمال مدينة تبوك وعلى ساحل الخليج العربي (الأمين، ١٤٢٤هـ، ص ص ٧-٣٧).

واعتماداً على أعمال المسح و التنقيب والحفريات[1] في أربعة مواقع أثرية(الشكل رقم ١٨)، يمكن القول بأن مظاهر التاريخ الحضاري لموقع شِرْثْ يتمثل في المنشآت المعمارية والجنائزية والفنون الصخرية والكتابات القديمة. وفيما يلي محاولة لتحليل تلك المظاهر ووضع تأريخ تقريبي لها :

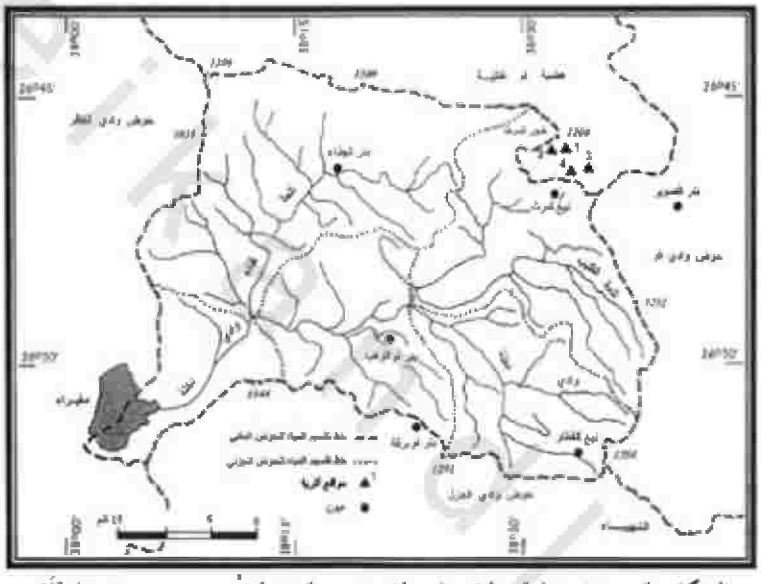

الشكل رقم (١٨). الموقع التفصيلي لحفريات موقع شِرْثْ من حوض وادي نَخْلَة.

المصدر : من عمل الباحثين .

(١) تمت أعمال الحفريات عبر الخطوات التالية :

- إحداث شبكية للمواقع مكونة من مربعات مرقّمة بقياس ٥×٥ متر.
- القيام بحفر كل مربع على حدة.
- التوثيق التخطيطي والتصويري لمراحل الحفر وللمظواهر المكتشفة.
- تدوين الملاحظات الميدانية.

أ) التل الأثري

يمثل هذا الموقع الأثري تل تعلوه كمية من الرمل ورديم الأحجار ذات الأصل البركاني برزت قليلا عن سطح الأرض، وظهرت شواهد ودلائل أثرية على هيئة مربعات ودوائر توزعت بصفة شبه منتظمة(الشكل رقم ١٩) (لوحة رقم ٢٠) (انظر ملحق اللوحات) . توحي بحجم مساحة البناء المنظم .

قام فريق البحث الميداني حسب البرنامج المعد بعمل مجس استكشافي لدراسة التل وكمية الرديم الحجري المغطى بكميات بسيطة من الرمل حيث كانت الشواهد المنتظمة تدلل على إمكانية وجود بناء تحت الأرض، واتضح من عمل المجس في الجزء الشمالي(لوحة رقم ٢١) (انظر ملحق اللوحات) من الموقع الملاحظات التالية :

١- تتمثل الظواهر المنظمة بأساسات جدران من طبقة واحدة بسمك ١٣سم.

٢- عدم حدوث تغيير في تربة السطح بعمق ١٠سم تحت الأساس.

٣- تشابه جميع الطبقات مع الطبقات الخارجية للموقع بعمق ٣٠٠سم.

وأعقب ذلك تنفيذ شبكية للموقع مكونة من ٢٠ مربعا بقياس ٥×٥ متر تشمل كافة الوحدات المكونة للتل .

وبناءً على نتائج المجس ، تم اتخاذ الخطوات التالية :

١- حفر كل مربع على حدة وهي مربعات (أ/١-٢-٣-٤) (ب/١-٢-٣-٤) (ج/١-٢-٣-٤) (د/١-٢-٣-٤) (هـ /١-٢-٣-٤).

٢- اقتصرت عملية الحفر على إزالة الأحجار والقيام بعملية التنظيف دون النزول إلى العمق إلا عند الحاجة لذلك.

٣- بدء الحفر بمجموعة المربعات (أ) الواقعة على الأطراف ثم تواصل الحفر ببقية المربعات تباعا، مع العلم أن هناك مربعات لم يشملها الحفر حسب ما هو موضح بالمخطط المعد.

العرض والنتائج : يتكون الموقع من بناء مُنَظَّم (الأساسات) وهي مكونة من طبقة واحدة بسمك يتراوح ما بين ٤-١٠سم تقريباً، تكون مربعات لجدران متصلة ومنفصلة ودوائر شبه منتظمة ومستطيل ومداخل.ويُرَجَّح أن تكون هذه الأساسات، التي نفذت بطريقة هندسية منتظمة ومحددة المعالم وبعضها جاء متصلاً والآخر منفصلاً، لها علاقة مباشرة بقداسة المقابر والشعائر الجنائزية. والمعروف أن هذا النمط هو من أكثر المقابر شيوعاً في شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية.

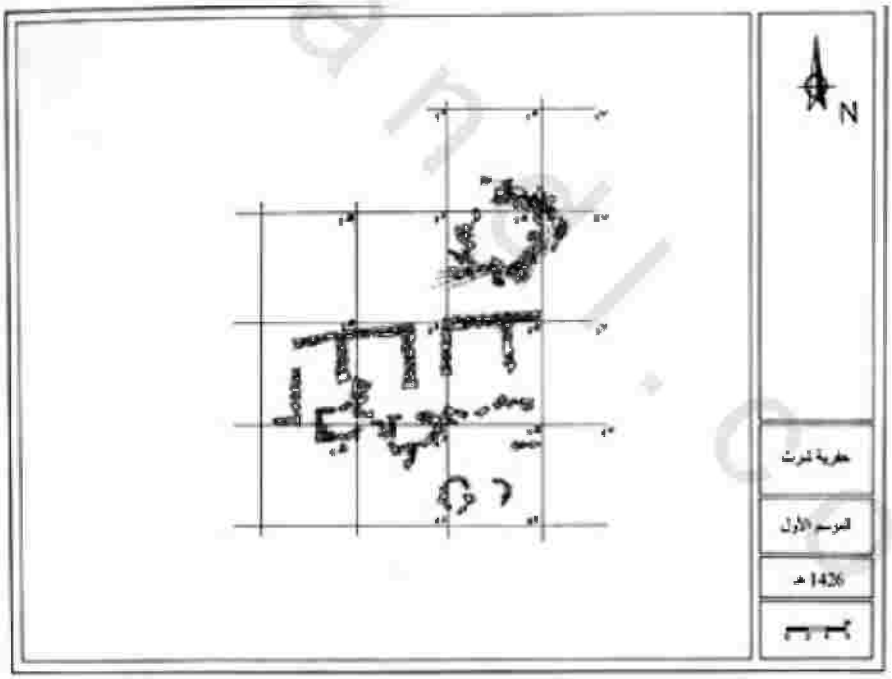

الشكل رقم (١٩). مخطط عام للتل الأثري.

المصدر : من عمل الباحثين .

المعثورات: لم يتم العثور على أية ملتقطات سطحية ، وكشفت الحفرية عن وسم لقبيلة محفور على صخرة مستطيلة وقطع زينة صغيرة مفردة من الصدف والخرز الملون ، الأمر الذي يؤكد على انكشاف الموقع ، إما بفعل عوامل التعرية أو بعمليات السطو.

حفريات مربعات ج

– **مربع ج١:** عثر في هذا المربع على بقايا أساسات أحجار شبه منتظمة في جزء منها ، وجزء آخر متناثر على هيئة شكل دائري.

مربع ج٢ : اتضح في هذا المربع استكمال الشكل الدائري غير منتظم في الجزء الشمالي بقطر ٤ م ، كما عثر على أساسات جدارين ، يمتد الأول من الشرق إلى الغرب بطول ٥١٠ سم وعرض ٥٠ سم ، ويمتد الثاني من الشمال إلى الجنوب ويصل إلى المربع ج٣ بطول ٤١ سم وعرض ٤٠ سم. وانتظمت طبقات التربة فحلت التربة الرملية في الأساس تعلوها التربة الطينية فالأحجار (الشكل رقم ٢٠أ).

مربع ج ٣: ضم هذا المربع أساسات لجدارين رصفت أحجارهما بشكل منتظم ، يمتد الجدار الأول من الشمال إلى الجنوب بطول ٢٠٥ سم وعرض ٤٠ سم ، ويمتد الجدار الثاني أيضاً من الشمال إلى الجنوب موازيا للضلع الغربي للمربع بطول ٢٣٠ سم وعرض ٤٠ سم .وربما تكون بعض الأحجار أمام تلك الجدران بقايا أماكن للدفن.

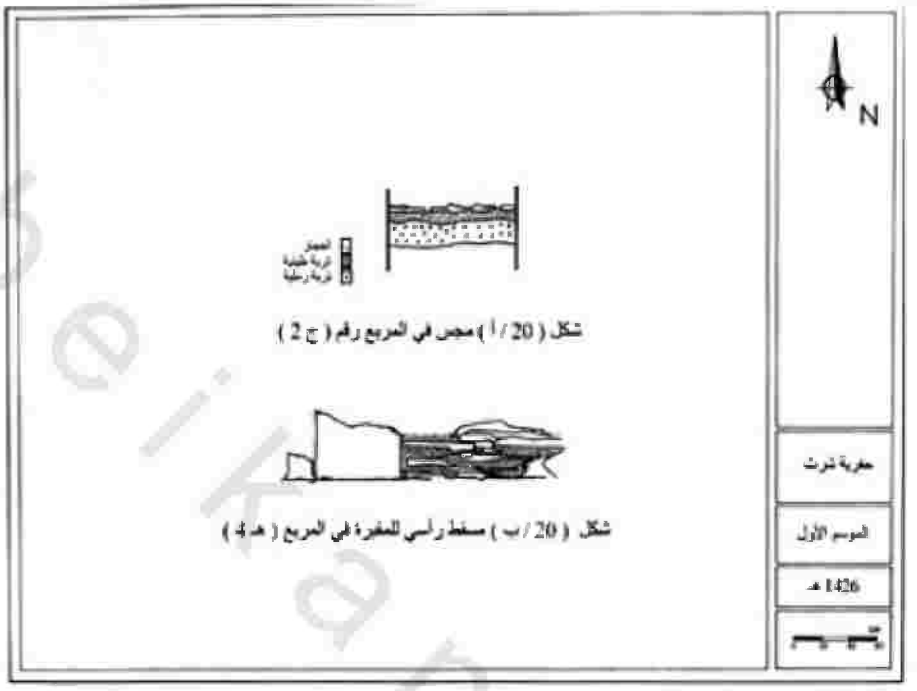

الشكل رقم (٢٠ أ، ب). التل الاثري مجس في المربع (ج٢) ، مسقط للمقبرة في المربع (هـ ٤).

المصدر : من عمل الباحثين.

مربع ج٤ : يضم هذا المربع بعض التشكيلات الحجرية عبارة عن دائرتين، بلغ قطر الأولى ١٦٠سم وقطر الثانية ٧٥سم ، وفرشت الأحجار على التربة بدون استخدام مونة.(لوحة رقم ٢٢) (انظر ملحق اللوحات).

حفريات مربعات د

مربع د ٣ : كشفت أعمال الحفر و التنظيف عن أساسات واضحة المعالم لثلاثة جدران هي :

• **الجـــدار الأول:** يمتد من الشمال إلى الجنوب ويطل على المربع المجاور ج٣، بطول ٢٨٠سم وعرض ٤٠سم تقريبا، ويتكون من طبقة بناء واحدة وينتهي بكتلة

حجرية وضعت في العرض ربما كانت نهاية الجدار عند فتح باب الدخول، ويرتبط مع جدار بالركن الشمالي الشرقي للمربع ج٣.

• **الجدار الثاني:** يمتد من الشمال إلى الجنوب بطول ٣٠٠سم وعرض ٤٠ سم تقريباً ينتهي بكتل حجرية ، قد تكون بداية مدخل.

• **الجدار الثالث:** يمتد من الشرق إلى الغرب ويرتبط مع الجدار الثاني بطول ٢٨٠سم وعرض ٤٥سم، وقد تكون هذه الجدران غرف متصلة ومنفصلة.

كما تم الكشف عن بقايا أحجار غير منتظمة تكمل مع مربع د٤ شكل موقع للدفن.

مربع د٤: كشف في هذا المربع عن بقايا أحجار غير منتظمة بشكل كامل من طبقة واحدة، لكنها تأخذ في مجملها الشكل البيضاوي المثالي، قد تمثل أحد أماكن الدفن يبلغ طول قطرها الطولي ٢٥٥سم وعرض قطرها ١٦٠سم.ويلاحظ أن التربة في هذا الموقع تغيرت بدرجة كبيرة، تبدو و كأنها خلطت بمواد عضوية وإن كان ذلك غير واضحاً.

حفريات مربعات هـ

– **مربع هـ ٣** : كشفت أعمال الحفر والتنظيف داخل هذا المربع عن أساسات من طبقة واحدة من الحجر عند مداخل أساسات الغرف والتي بينت ولأول مرة في هذا الموقع اكتمال بعض التشكيلات لتلك الغرف ذات أبعاد وانتظام (لوحة رقم ٢٣) (انظر ملحق اللوحات). واشتملت تلك الأساسات على ثلاثة جدران هي :

• **الجدار الأول** :وهو يمتد من الشمال إلى الجنوب ويتكون من طبقة واحدة، بطول ٢٥٠سم ، ويلاحظ أن هذا الجدار غير مكتمل واختفت معظم معالمه.

• **الجدار الثاني** :يمتد من الشمال إلى الجنوب وبني من طبقة واحدة بطول ٢١٠سم وسمك ٤٠سم، ويوجد انقطاع في الجدار قد يكون فتحة لمدخل.

• **الجدار الثالث** :يمتد من الشرق إلى الغرب بطول ٣٣٥سم ويتصل مع الجدار الأول .

ومن المُرَجَّح أن تكون تلك الجدران لغرف، لا سيما وإن المربع هـ٤ يتصل مع المربع هـ٣ مكونا شكلاً مستطيلاً يبدو مكاناً للدفن .

مربع هـ٤ :كشفت أعمال الحفر والتنظيف في الموقع عن بناء من عدة طبقات بني بشكل شبه منتظم وبعناية فائقة، بأحجار بطول يصل إلى ٣٠-٤٠سم ومدعّمة بأحجار صغيرة مع طبقة من المونة .وتأخذ بعض الأحجار الشكل المسطّح بسمك يصل إلى ١٠سم ووضعت بشكل رأسي .أما أبعاد هذا المبنى فبلغت ١٦٠سم للضلع الغربي و١٥٠سم للضلع الشرقي و٢١٧سم للضلع الجنوبي و٢١٣سم للضلع الشمالي، وبعمق يصل إلى ٤٠سم من الداخل. في حين كان المربع ممتلأ بكميات من الرديم المكون من الأحجار والرمل. ويُرَجَّح أن هذا الشكل المستطيل بقايا موقع دفن بدليل العثور على بقايا عظمية بشرية متحللة يتعذر تقدير عمرها (الشكل رقم ٢٠ب)، (لوحة رقم ٢٤) (انظر ملحق اللوحات).

ب) المذيلات الحجرية

دللت نتائج البحوث والدراسات الحديثة التي تناولت تاريخ المنشآت الحجرية من ركامية ومذيلات ودوائر على أنها تعود لعصور ما قبل التاريخ واستمرت في العصور التاريخية في سهول وسفوح جبال شبه الجزيرة العربية، وتميزت بتعدد أشكالها وطرق ونمط بناءها واستخداماتها .

• **المذيل الحجري رقم (١)**: يتخذ المذيل الحجري رقم (١) الشكل البيضاوي (أي دائرة مستطيلة ينحني أحد أضلاعها بشكل قوس) متداخل مع دائرة منتظمة.والشكل العام للبناء منظم تقريباً، ويبلغ طول المذيل ٣٠م وعرض ٥و٣ م ودائرة متداخلة قطرها ٥و٤ م بنيت بجدران ذات صفين من الأحجار البركانية المسطحة المستطيلة بشكل أفقي على إحدى الحواف الطولية والذي يتراوح سمكها ما

بين٥-٧ سم وطولها ما بين ٥-١٠ سم، بشكل يغلب عليه الترابط الطولي المتوازي، والذي يتقدم كل حجر عن الحجر الملاصق له بمسافة بسيطة مثبت على كمية خفيفة من مونة الطين (الشكل رقم ٢١أ)، (لوحة رقم ٢٥) (انظر ملحق اللوحات).

خطة العمل : اشتملت الخطة على مرحلتين :

١- المرحلة الأولى : إعداد شبكة مربعات تشمل كافة أجزاء المذيل بمقاسات ٤×٤ م .

٢- المرحلة الثانية : اختيار مواقع المجسّات بأبعاد مناسبة بلغت ٢×٢ م وبمسافة متناسبة وأعطيت أرقام ١، ٢، ٣، ٤.(الشكل رقم ٢١ب،ج)، (الشكل رقم ٢١د، هـ)،(الشكل رقم ٢١و،ز)، (الشكل رقم ٢١ح،ط). وجاءت مجسّات ١و٤ على جدران الجزء الجنوبي بشكل أفقي وجاء مجس رقم (٢) على جدار الجزء الشمالي بشكل أفقي أما مجس رقم ٣ فحل في الساحة المتوسطة بين الجدارين الشمالي والجنوبي (لوحات رقم ٢٦-٢٩) (انظر ملحق اللوحات).

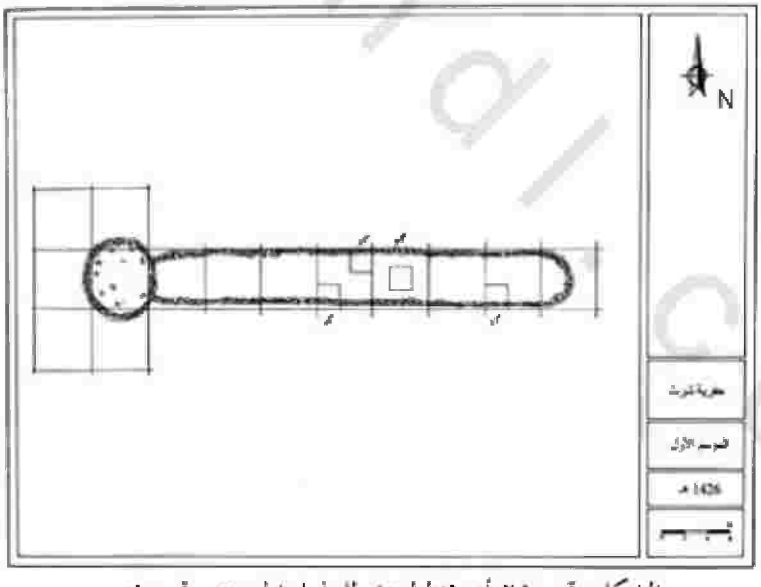

الشكل رقم (٢١ أ). مخطط عام للمذيل الحجري رقم (١).

المصدر : من عمل الباحثين .

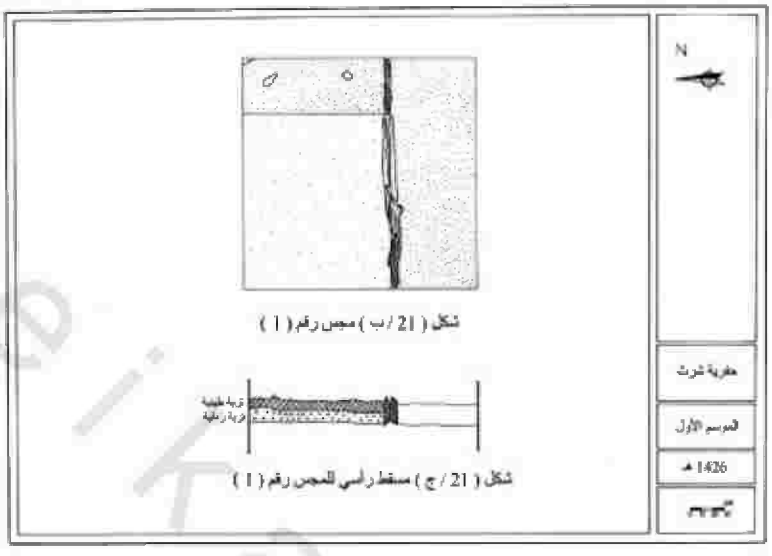

الشكل رقم (٢١ب، ج). المذيل الحجري رقم (١): مجس رقم (١)، مسقط رأسي للمجس رقم (١).

المصدر: من عمل الباحث.

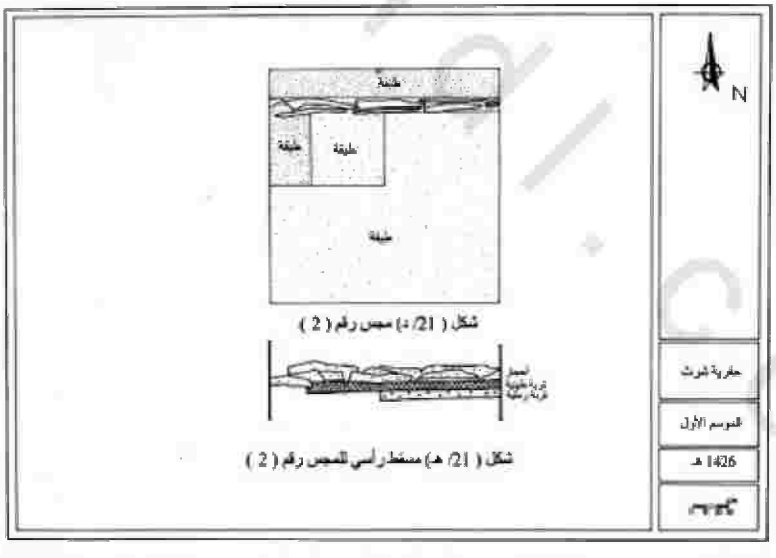

الشكل رقم (٢١ د،هـ). المذيل الحجري رقم (١): مجس حجري رقم (٢)، مقطع رأسي للمجس رقم (٢).

المصدر: من عمل الباحثين.

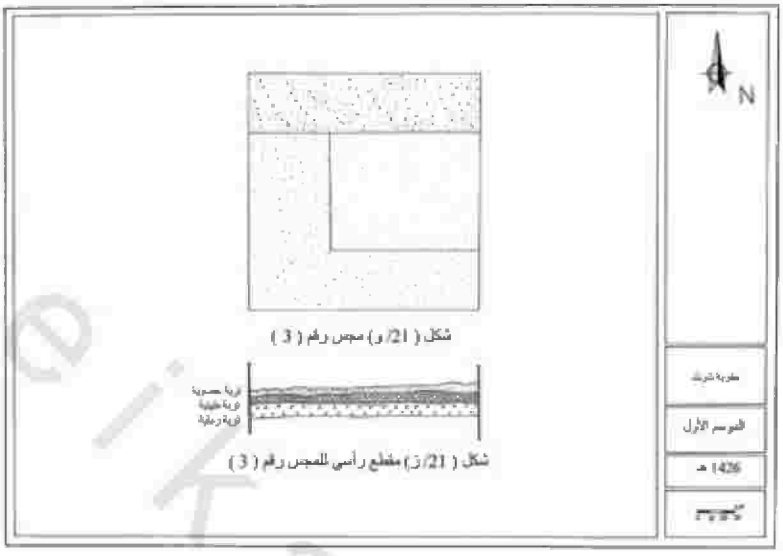

الشكل رقم (٢١ و ،ز). المذيل الحجري رقم (١) : مجس رقم (٣) .

المصدر : من عمل الباحثين .

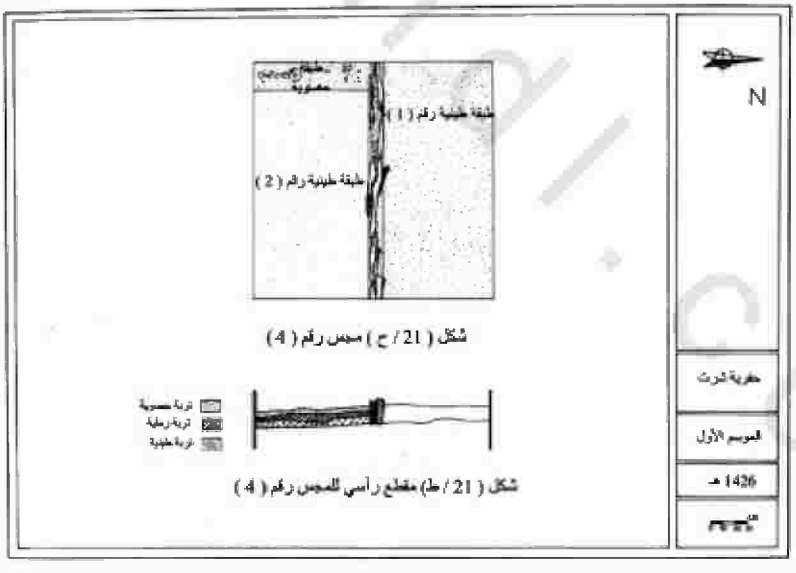

الشكل رقم (٢١ ح، ط). المذيل الحجري رقم (١) : مجس (٤) مقطع رأسي للمجس رقم (٤).

المصدر : من عمل الباحثين.

النتائج : يمكن تعميم نتائج الحفر والتنقيب في المذيل في كل المجسّات نظرا لتشابهها فيما يخص التربة ومواد وطريقة البناء :

التربة : تتكون التربة في كافة المجسّات من ثلاث طبقات هي :

١-الطبقة السطحية : وهي في مجملها حصوية شبيهة بتربة سطح الموقع.

٢-الطبقة الثانية : وهي طبقة طينية متماسكة يتراوح سمكها ما بين ٥-١٠سم من نفس مكونات التربة خارج حدود المذيل.

٣-الطبقة الثالثة : وهي تربة رملية حمراء تمثل الطبقة البكر.

مواد البناء : تتألف مواد البناء من أحجار بركانية رقيقة السطح يتراوح طولها ما بين ٤٠-٦٠ سم وعرضها ٢٠سم ويتراوح سمكها ما بين ٥-١٠سم.

طريقة البناء : تم بناء الجدران من صفين متلاصقين من الأحجار غرست على الحافة الطولية بشكل قائم ثم يتقدم حجر البناء المتلاصق عن الآخر بمسافة متفاوتة الأطوال ، وزاد من ترابط البناء استخدام مونة من الطين.

المعثورات : لم توجد في الموقع معثورات أو بقايا عضوية .

ونظرا لقرب موقع التل الأثري من موقع المذيل الحجري (١)حيث لا يفصل بينهما سوى ٩٠٠ م تقريباً فإنه يمكن تسجيل الملاحظات الآتية :

١- تشابه نوع وحجم الأحجار في الموقعين الأثريين ، ويلاحظ قلة أحجار المذيل الحجري ١ في حين يظهر المذيل الحجري٢ شبه مكتمل من حيث أساسات البناء وترابطه.

٢- يرجح أن خلو الموقعين الأثريين من الملتقطات و المعثورات ذات القيمة الآثارية ، هو تعرضها للنهب خلال فترات لاحقة.

• **المذيل الحجري رقم (٢)**

كشفت أعمال الحفريات بأن هذا الموقع خصص لبناء كبير المساحة (الشكل رقم ٢٢) مشيداً من الأحجار مع دقة عالية في بناء الحواف الخارجية وقد يفسر وجود محجر كبير مجاور للموقع ، أحد أسباب اختيار الموضع بعينه للبناء والاستقرار .

ويتكون هذا الموقع من وحدتين رئيستين هما تل أثري ومذيل حجري :

١- التل الأثري : يقوم التل الأثري في الجزء الجنوبي من الموقع وتشبه بداية التل مصطبة تنقسم بدورها إلى مصطبتين شرقية وغربية تنفصل عن بعضهما بممر بعرض متر واحد وطول ١٦٠ سم، حيث تميل المصطبة الشرقية تجاه الشمال مكونة منحنى وتميل الكتلة الغربية تجاه الشمال بنفس الطريقة وتضيق ابتداءً من ١٦٠ سم عرضاً ولكن ليس بشكل مباشر ثم تنحني تجاه الشمال لتلتقي بالسور بعرض ٨٠سم (الشكل رقم ٢٢ أ) (لوحة رقم ٣٠أ، ب، ج) (انظر ملحق اللوحات).

ويفضي ممر بعرض متر واحد إلى ممرات متقاطعة بنفس العرض وقد اختير الجزء الجنوبي الشرقي من هذه التقاطعات لاختبار آخر المجسات رقم ٩ بمقاس ٣×٣ لكننا بعد التنقيب تبين لنا الحاجة لتوسيع المجس، لهذا ظهر لنا بعد إجراء التوسعة بناء على شكل بيضاوي بني بطريقة منظمة بطول قطر شرقي غربي يبلغ أربعة أمتار تقريباً وقطر شمالي جنوبي بطول ١٩٥ سم ، وتقع جميع الممرات في الجزء الجنوبي لمصطبتي البداية (الشكل رقم ٢٢ب)حيث وجدت ظواهر معمارية مشيدة بشكل منظم.

وتتمثل المصاطب في مجسّ٢ (لوحة رقم ٣١أ، ب، ج) (انظر ملحق اللوحات) ومجس ٦ (لوحة رقم ٣٢) (انظر ملحق اللوحات) ومجس ٧ (لوحة رقم ٣٣) (انظر ملحق اللوحات) وهي تعتبر بداية المذيل حيث وضعت الأحجار المسطّحة بشكل أفقي بعناية كبيرة تجاه الحواف بانتظام من الخارج، أما في داخل المصاطب فقد

حُشيت بحشوات من كسر الأحجار الرقيقة والطين.ويتراوح سمك أحجار البناء ما بين ٥سم –١٠سم ، كما نفذت زوايا المصاطب بطرق هندسية دقيقة جداً تشكل زوايا قائمة حيث يصل عرض المصطبة ١٦٠سم.

٢- المذيل (السور): يمثل المذيل سوراً يبلغ طوله ٩٠م وعرض يتراوح ما بين ٦٠–٨٠سم وغرست الأحجار فيه بشكل رأسي مع ملاحظة عدم انتظام زوايا الأحجار ولكنها ذات أسطح ملساء ، بسمك يتراوح ما بين ٥–٧ سم وأطوال أضلاعها ما بين ٤٠ – ٦٠سم ، وهذه طريقة بناء مختلفة تماما عن طرق تشييد المصاطب ، حيث نجد أنها غُرست بشكل رأسي مع صقل دقيق للحواف وبأطوال تتراوح ما بين ٤٥–٦٠سم ، كما استخدمت حشوات من الطين والأحجار الصغيرة بين أحجار البناء.

ويربط قوس بين المصاطب من الجهة الجنوبية وامتداد المذيل إلى الشمال (مجس ١) (لوحة ٣٤) (انظر ملحق اللوحات) وذلك بشكل منحنى على شكل قوس يتجه من الجنوب إلى الشمال مروراً بالغرب ، حيث يُلاحظ سمك حجر البناء وصغر كتلته إذ يصل إلى نحو ١٥سم بناء أحجار المذيل .والمصاطب مسطحة الشكل ، لكنها لا تختلف بالحشوة عن المذيل ، حيث أن أحجار بناء ذلك الرابط صغيرة الحجم لتسهل عملية الربط والانتقال من أعرض إلى أقل عرض أي من ١٦٠سم إلى ٨٠سم.ومن بناء أحجار مسطحة بشكل أفقي في المصاطب إلى أحجار بناء رأسية الشكل في المذيل.

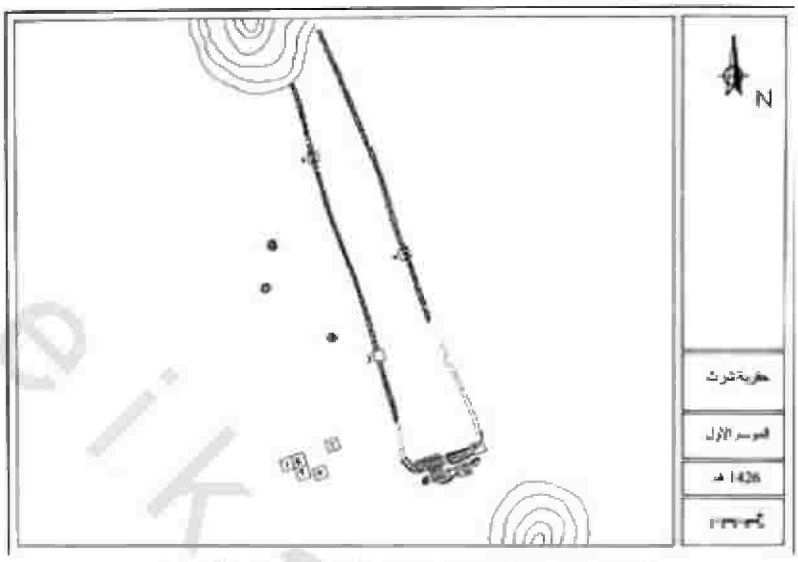

الشكل رقم (٢٢ أ). مخطط عام للمذبل حجري رقم (٢) .

المصدر : من عمل الباحثين.

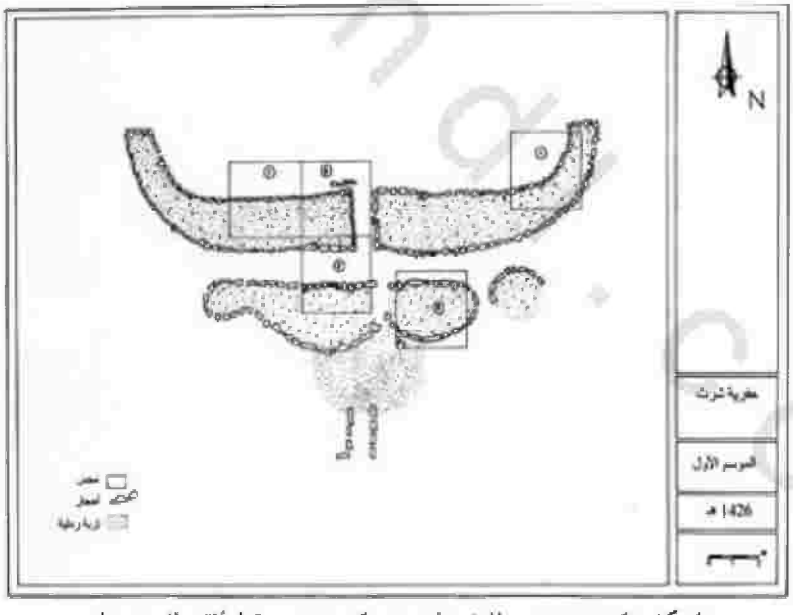

الشكل رقم (٢٢ب). المذبل الحجري رقم (٢): مسقط أفقي للجزء الجنوبي.

المصدر : من عمل الباحثين.

وقد استخدمت في تشييد البناء وهي قليلة مقارنة بكميات التربة الرملية من نفس الموقع ويلاحظ أن التربة ليست قديمة بالمفهوم الأثري لأنها تربة منقولة بواسطة الرياح فهي تربة ضعيفة ومفككة وقد ترسبت في فترة متأخرة، مع ملاحظة أن كمية رديم السطح خفيفة ولم تكن بحجم المبنى، حيث من المحتمل أنه قد أعيد استخدامه في فترة أخرى، أو أن الموقع تعرض لعمليات سطو.

وفيما يلي نتائج المجسات في الموقع :

١- مجس (١) (الشكل رقم ٢٢ ج)، (لوحة رقم ٣٤) (انظر ملحق اللوحات):

اختير هذا المجس بناء على الدلائل والشواهد الأثرية بأبعاد ٣×٣ أمتار وكشفت أعمال الحفر عن جدران مبني من الحجر الرملي منتظم بارتفاع ٩٠سم منحني من الشمال إلى الغرب، حيث يتضح أنه جزء من السور وأن هناك حشوة غير منتظمة من كسر الأحجار والرمل والطين.

٢- مجس (٢) (الشكل رقم ٢٢د، هـ) :

اختير هذا المجس بأبعاد ٣×٣ م بناء على ظاهرة عمرانية بارزة هي وجود جدران مبنية بعناية كبيرة بشكل متواز، وأكدت أعمال الحفر عن كشف عن بناء لمجموعة جدران وممرات ومصاطب :

أ) جدار يرتفع بنحو ٨٥سم يمتد من الجهة الغربية للمجس إلى الجهة الشرقية بطول ٢٣٢ سم وينتهي بزاوية تتجه شمالاً بطول ٨٠سم.

ب) جزء من جدار يمتد من الشمال إلى الجنوب على حافة الضلع الشرقي للمجس وجزء من الركن الشمالي الشرقي بطول ٨٠سم وينتهي بزاوية متجهة إلى الشرق.

ج) جدار يمتد من الشرق إلى الغرب بطول ٣٠٠سم وبعمق يصل إلى ٨٥سم.

د) اكتشاف ممرات ، يمتد أحدها من الشرق إلى الغرب بطول ٣٠٠سم متجه خارج المجس بين الجدارين الشمالي والجنوبي بعرض ١٠٢سم ، وممر آخر يمتد من الشمال إلى الجنوب بعرض ٧٢سم يتقاطع مع الممر الأول.

هـ) الكشف عن جزء من مصطبة محشوة بصفائح حجرية وكميات من الأتربة بسمك يتراوح ما بين ٣-٧ سم.

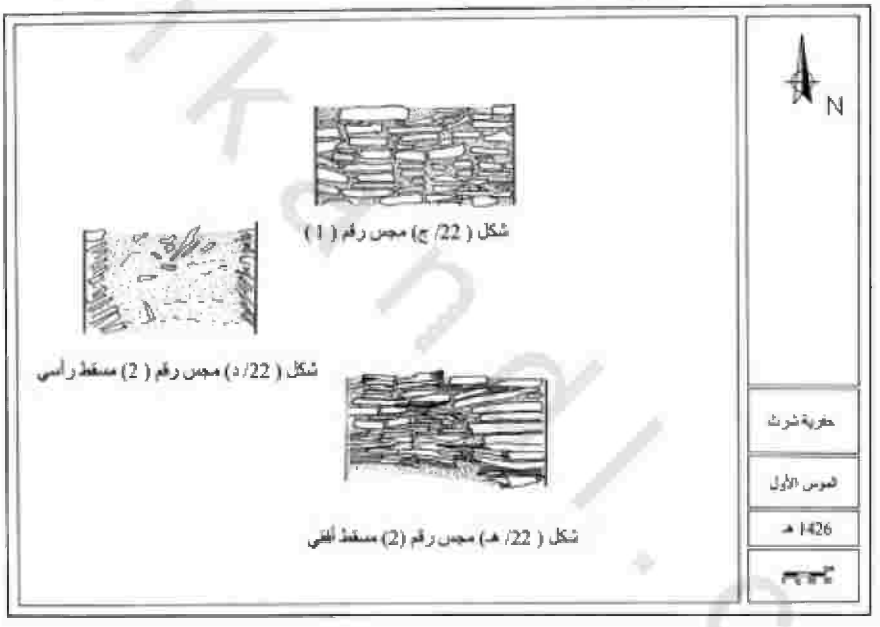

الشكل رقم (٢٢ ج، د، هـ). المذيل الحجري رقم (٢): مجس رقم (١) مجس رقم (٢).
المصدر: من عمل الباحثين.

٣- مجس (٥) (الشكل رقم٢٢و،ز) (لوحة رقم ٣٥) (انظر ملحق اللوحات):

تبلغ أبعاده ٢×٢ م ، واختير على السور الغربي للجهة الشمالية من المجس ٣

حيث كشفت عمليات الحفر عن بقايا السور الممتد من الشمال إلى الجنوب خارج مقاسات المجس ، وهي نفس طريقة البناء والارتفاع والعرض وسمك الأحجار المسطحة الموضوعة بطريقة رأسية من الجانبين ، ويتراوح سمك الأحجار ما بين ٥-٧سم وأطوالها ما بين ٥٠-٦٠سم بأضلاع متعددة ، واستخدمت حشوة من الطين والأحجار الصغيرة كمونة بين الأحجار.

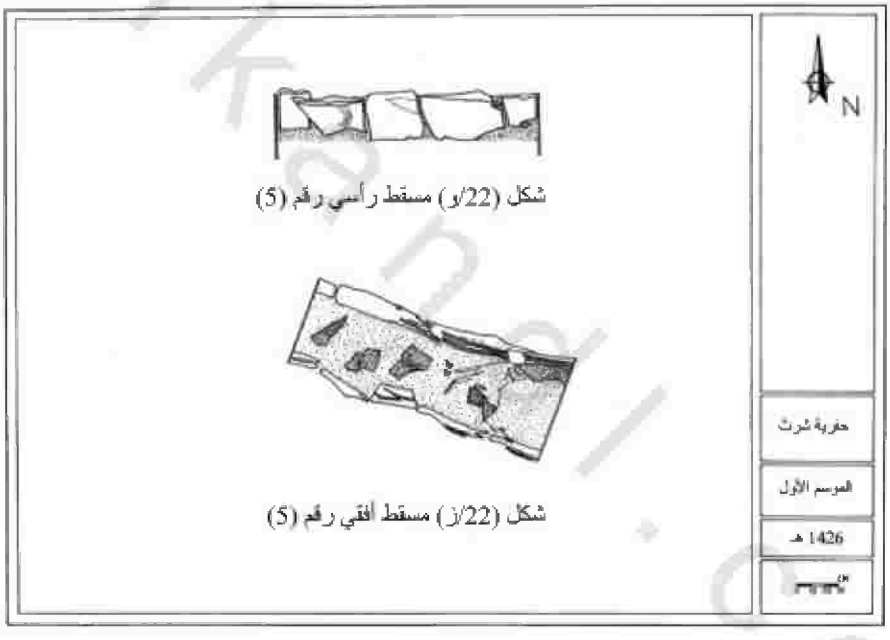

الشكل رقم (٢٢ و، ز). المذيل الحجري رقم (٢): مجس أفقي و رأسي للمجس رقم (٥).

المصدر : من عمل الباحثين.

٤-مجس ٦:

تبين من هذا المجس ، استمرار البناء الممتد بزاوية من المجس (٢) من الشمال إلى الجنوب بطول ١٦٠سم وارتفاع ٨٤سم ، حيث يتصل ذلك البناء بزاوية شبه قائمة من الشرق إلى الغرب بطول ٢٢٠سم مكونا مصطبة بنيت حوافها بشكل منتظم من الحجر الرملي الرقيق ، مع ملاحظة وجود حشوات أفقية من الأحجار الرقيقة في داخل البناء.

كما كشف عن جدار على حافة الضلع الشرقي للمجس ربما يكون الجزء الآخر من المصطبة والتي ظهرت من خلال المجس (١).

٥-مجس٧:

نفذ هذا المجس بأبعاد ٣×٣م واتضح من خلاله امتداد الجدار من المجس ٦ إلى الغرب بطول ٣٠٠سم ، أي أنه يمتد إلى غرب المجس نفسه وخارجا عنه بنفس الاتجاه وبعمق ٨٥سم ، ونفذ بنفس طريقة البناء الدقيقة ، مع ملاحظة أن الجدار يميل إلى الداخل من خلال الجزء العلوي تجاه الحشوة الداخلية للمصطبة ، وقلة كميات الرديم من الأحجار.وتبين كميات الرمل بلونها الأصفر أنها تربة منقولة من المناطق المحيطة بالموقع.

٦- مجس٩ (الشكل رقم ٢٢ح، ط)،(لوحة رقم ٣٦) (انظر ملحق اللوحات):

نفذ المجس بأبعاد ٣×٣ م ، بناء على الظواهر المعمارية من الأحجار المبنية على شكل شبه بيضاوي ، مما دفع لاختيار مقاسات تغطي الشكل المذكور تماماً. وكشفت عملية الحفر عن مبنى منفذ بشكل جيد من الحجر الرملي بمقاسات مختلفة سواء بالسمك أو الطول أو العرض ، ويصل ارتفاع الجدار الشمالي ٨٢سم والجدار الجنوبي

٧٥سم، ووجدت حشوات من الأحجار الرقيقة بسمك يتراوح ما بين ٣-٧سم مع كميات من الطين، وهي نفس الطريقة المتبعة للمصطبة في المجسّات ٢، ٦، ٧.

٧- مجس٣ (الشكل رقم ٢٢ي، ك)،(لوحة رقم ٣٧أ،ب،ج) (انظر ملحق اللوحات):

اختير هذا المجس بأبعاد ٢×٢ م على الجهة الغربية من ظاهرة السور والذي يمثل أيضاً الجدار الغربي ، حيث كشفت أعمال الحفر عن أساسات بعرض ٦٨سم وارتفاع ٤٥سم تمتد من الشمال إلى الجنوب بأحجار مسطحة يتراوح سمكها بين ٥-٧سم وطول يصل إلى ٦٠سم تقريبا وعرض يصل إلى ٤٠سم ، وقد رصفت بطريقة رأسية غير متساوية الأضلاع المتعددة.ويلاحظ أن الحشوة في داخل السور هي عبارة عن كسر حجرية وتربة طينية، أما الرديم المستخرج من المجس فكان عبارة عن تربة رملية مفككة تشبه التربة الرملية من حول الموقع.

٨- مجس٤(الشكل رقم ٢٢ل،م)، (لوحة ٣٨أ،ب،ج) (انظر ملحق اللوحات):

اختير هذا المجس بأبعاد ٢×٢ م في الجهة الشرقية من السور الشرقي، حيث ظهرت أساسات جدران ربما تمثل الجزء المتبقي من جدار السور الذي كان قائما وهو من الأحجار المسطحة، وهي نفس الطريقة التي بني بها السور الغربي في مجس ٣، إذ يصل الارتفاع في المجس إلى ٣٥سم وعرض يصل إلى ٧٨سم.

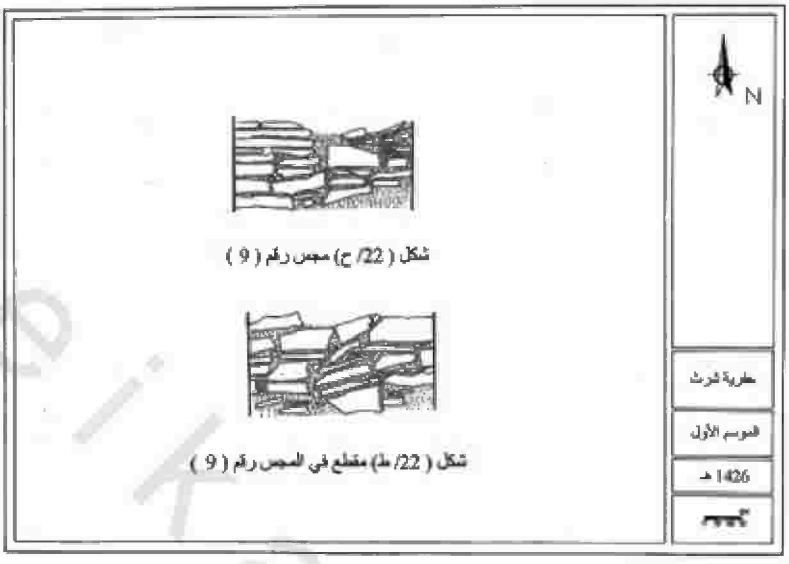

الشكل رقم (٢٢ ح، ط). المذيل الحجري رقم (٢) مجس رقم (٩).

المصدر : من عمل الباحثين.

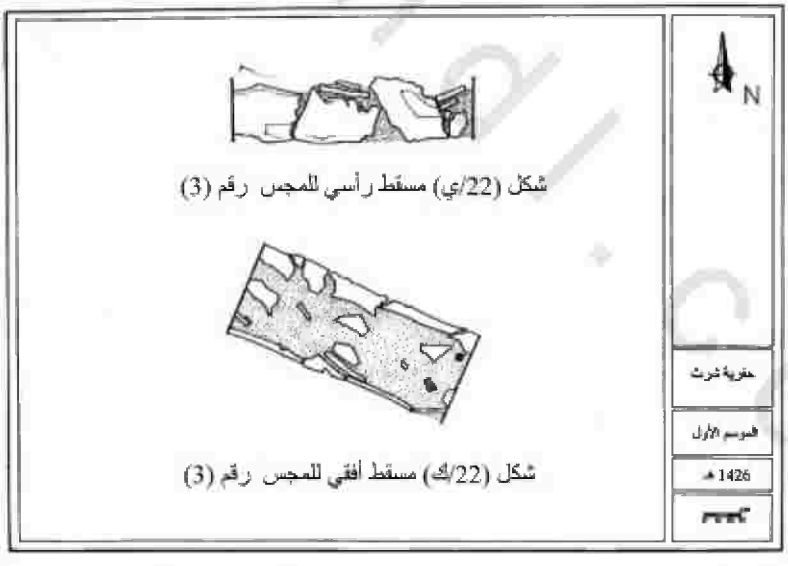

الشكل رقم (٢٢ ي، ك). المذيل الحجري رقم (٢) مسقط رأسي ومسقط أفقي للمجس رقم (٣).

المصدر : من عمل الباحثين.

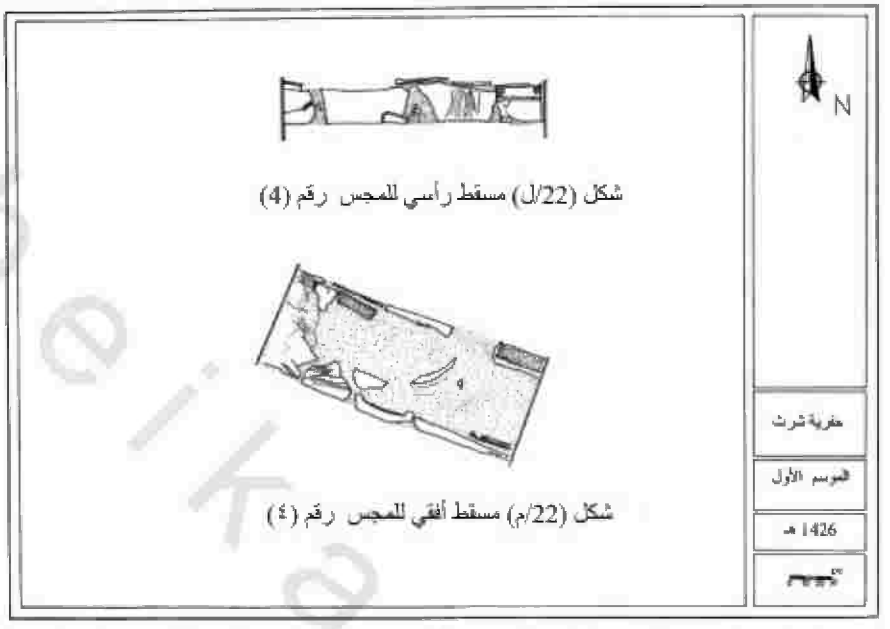

الشكل رقم (٢٢ ل، م). المذيل الحجري رقم (٢) : مسقط أفقي ورأسي للمجس رقم (٤).

المصدر : من عمل الباحثين.

ويتواصل الطول في جهتي الامتداد من الشمال إلى الجنوب واستخدمت الأحجار الصغيرة والطين كمادة لاحمة بين الأحجار .

ج) الدوائر الحجرية

يكتسب هذا الموقع الآثاري شكلاً فريداً ضمن منظومة آثار موقع شرُثْ، حيث يظهر على شكل عقد متسلسل من الدوائر يبلغ طوله نحو ٤٠ م، يبدأ من الجنوب بدائرة رئيسة كبيرة يبلغ قطرها نحو ثمانية أمتار تبدأ من حضن كتلة صخرية مزينة بكتابات ثمودية قديمة ثم تتكرر الدوائر المنفصلة عن بعضها البعض منحدرة من التل بشكل عقد يبلغ مجموع دوائره ١٢ دائرة باتجاه الشمال، ونظرا لتعرضها للنهب فقد بعثرت أحجارها وتحولت الدوائر إلى ركامات حجرية. الشكل رقم(٢٣)، لوحة رقم (٣٩) (انظر ملحق اللوحات).

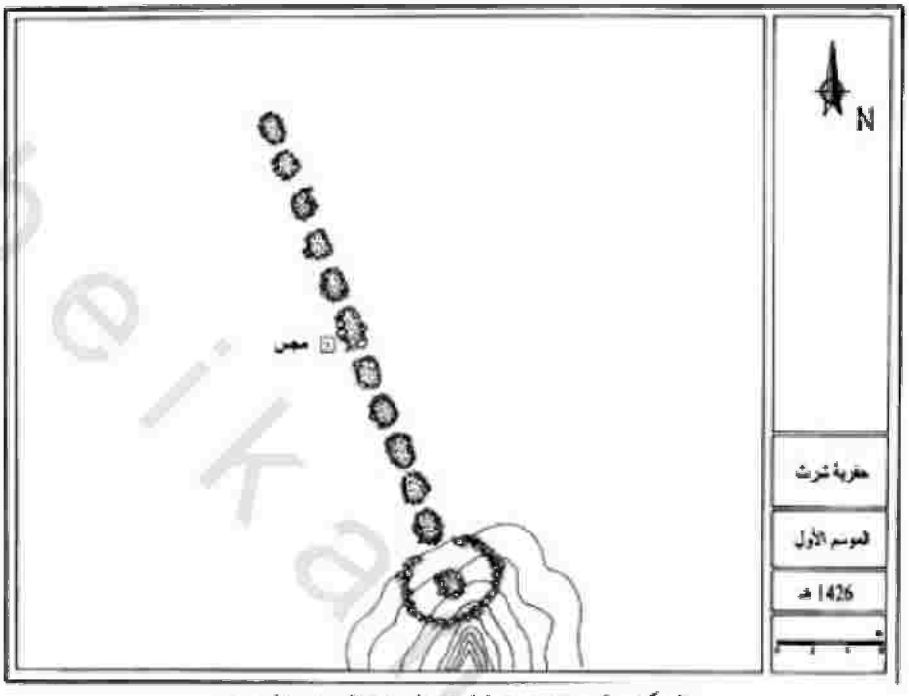

الشكل رقم (٢٣). مخطط عام لعمارة الدوائر الحجرية.

المصدر : من عمل الباحثين .

٩- مجس دائرة رقم ٦ :

تم اختيار دائرة رقم ٦ باعتبارها تمثل منتصف عقد الدوائر لعمل مجس لمعرفة هذا الموقع(لوحة ٤٠أ) (انظر ملحق اللوحات). وبدأت عملية الحفر بإزالة رديم الأحجار والرمال عن السطح الذي بلغ سمكه نحو ٤٠ سم فقط ، وإذ بوظيفة الدائرة تظهر، فهي عبارة عن قبر مشيد ببناء منتظم على هيئة طبقات من الأحجار متفاوتة الأحجام سميكة ورقيقة على أرضية صخرية بأبعاد تبلغ ٢ م طولاً و ٩٠سم عرضاً بزوايا غير حادة وبعمق ٤٥سم(الشكل رقم ٢٤) . وقد أبدع المعماري في الحفاظ على مستوى ارتفاع بناء القبر بشكل مستو عبر تطويع الأحجار الكبيرة والصغيرة بالنسبة والتناسب تتخلله مونة من الطين الأحمر لزيادة تماسك البناء(لوحة رقم ٤٠ب) (انظر

ملحق اللوحات). ولم يتم العثور على أية عظام أو موجودات مما يدل على تعرض القبر للنبش والتصفية التامة وربما لأكثر من مرة.

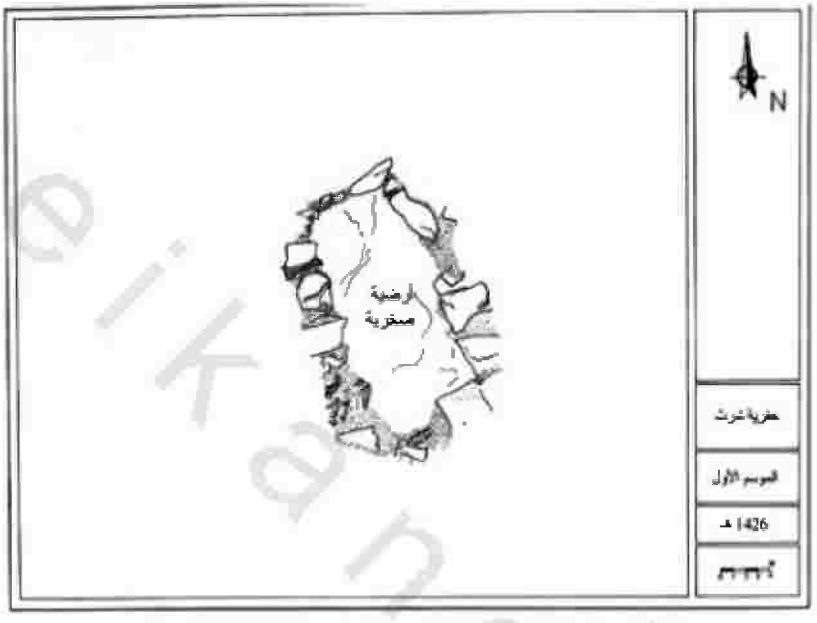

الشكل رقم (٢٤). الدوائر الحجرية : مجس في الدائرة رقم (٦).

المصدر: من عمل الباحثين.

في ختام الحديث عن الحفريات الأثرية تتبلور الاستنتاجات التالية :

١- نظراً لعدم العثور على أدوات حجرية في مواقع الحفريات أو بقربها ، فإنه يصعب كثيراً وضع تأريخ لبداية استقرار الإنسان في الموقع ، ولكن بالاستفادة من الدراسات المقارنة للمنشآت الشبيهة التي وجدت في مناطق أخرى من المملكة العربية السعودية كالمنطقة الوسطى(زارينس وآخرون ، ١٤٢٢هـ ، ص ص ٢٧-٣٥) يمكن وضع احتمال بأن الإنسان عمَّر موقع شرْثْ خلال مراحل زمنية مختلفة تمتد من أواخر العصر الحجري القديم الأعلى (٤٠٠٠٠سنة ق.م. - ١٠٠٠٠سنة ق.م.) إلى بداية العصر الحجري الحديث (١٠٠٠٠سنة ق.م.-٦٠٠٠ سنة ق.م.) .

٢- يعد تشييد المساكن من أهم دلائل النشاط الحضاري بالموقع ووضع اللبنات الأولى في صرح الفن المعماري الحجري بأساسات محكمة البناء وصخور مشذّبة بعناية فائقة وكضرورة اقتضتها عدم وجود كهوف في الموقع صالحة للإيواء، كما تبين قدرة الإنسان على تكييف مسكنه مع شروط وظروف بيئته وتلبيته احتياجاته المختلفة.

وتظهر المساكن بكونها بمثابة نمو للرابطة العائلية وتعاون وتكاتف أفراد الأسرة.

٣- عدم استبعاد حقيقة أن يكون سكان تلك البيوت من الرعاة والصيادين اللذين كانوا يعيشون حياة مستقرة ونصف مستقرة ويدل على ذلك صغر المساكن وتوزعها على شكل نويات متفرقة.

٤- يدلل بناء المساكن في مساحات مستوية أو مرتفعة قليلاً قرب التلال والجبال، على اعتدال في المناخ وتحقيق عنصر سهولة الوصول والانتقال من البيوت إلى مواقع الجمع والالتقاط والصيد القريبة والبعيدة، مع ملاحظة ذكاء اختيار المواقع السكنية بعيدا عن منابع الأودية حيث احتمال حدوث الفياضانات المدمرة يظل قائما.

٥- رغم الغموض الذي يكتنف وظيفة المذيلات الحجرية الملحقة بالمساكن، لكن يحتمل رمزيتها لدلالات عقائدية وفكرية وثقافية لسكانها أكثر من احتمال كونها مادية استخدمت كمشتل زراعي أو حظائر للحيوانات أو مخازن للمواد الغذائية، لكن ما يمكن التأكيد عليه هو أن سمك جدران أساسات الأسوار دليل على أهمية ما يحتويه المذيل وضرورة حمايته.

٦- تنوع المقابر ما بين مقابر ملحقة بالمساكن في التل الأثري والمذيل الحجري رقم (١) والمذيل الحجري رقم (٢) ويظهر أنها كانت لبعض أفراد الأسرة.وكان هذا التقليد الجنائزي شائعاً في عصر ما قبل التاريخ حيث كان الموتى يدفنون في المساكن كما في موقع أريحا بفلسطين (محيسن، ٢٠٠٣، ص ١٩٠) وفي موقع غاروا في العراق

(لويد، ١٩٩٢م، ص ١١٤) وما بين مقابر ركامية جماعية مستقلة في الدوائر الحجرية. ويكشف مكنون تلك الدوائر، يتبين نمو الوعي الديني لدى السكان والقدسية والاحترام التي أسبغها الإنسان على موتاه.لكن يتبقى العديد من الأسئلة بدون أجوبه.هل هذه المقبرة الجماعية لأسرة واحدة، أحتل قبر كبير الأسرة أكبر الدوائر بها وتوزعت بقية القبور على أفراد الأسرة ؟وما هو السبب في توجيه محور تلك المقابر من الجنوب إلى الشمال؟وهل لهذا المظهر الهندسي والتنظيمي والمعماري الذي ظهرت به تلك القبور أية دلالات دينية أو جنائزية؟ وما هو السر في شيوع تلك الأنماط المتعددة من المقابر ذات الترابط الإنشائي الواضح في موقع شرث وفي مواقع أخرى في محافظات: العلا، تيماء، خيبر وفي مناطق :تبوك، الرياض ومكة المكرمة؟وهل هي نوع من الثقافة الجنائزية المشتركة بين حضارات المناطق المذكورة؟ (الجراهام وآخرون، ١٤٢٤هـ، ص ص ٥٣-٥٧).ولعل المزيد من الدراسات تكون كفيلة بفك رموز تلك الظواهر الأثرية.

٢- الفنون الصخرية

يمثل المحتوى التصويري من الفنون الصخرية جزءاً جوهرياً من الحضارة المادية التي أنتجها الإنسان في موقع شرث، كما تشير إلى أهمية الموقع كمركز استقرار سكاني كثيف.

وتدلل المضامين الفنية التي تحتويها الرسوم الصخرية على أهميتها التوثيقية لرصد مختلف جوانب الحياة فهي بمثابة سجل حي عن الماضي بمظاهر حياته الدينية والاجتماعية و مناخه واقتصاده وبيئته وحيواناته الفطرية والمستأنسة، لا سيما في شح المعثورات من المواد الكتابية التي يمكن أن توفر الكثير من الجهد في تقصي تفاصيل تاريخ وحضارة المنطقة. كما توضح لنا بجلاء عن وجود وقت إضافي للإنسان خارج

كسب قوت عيشه في الزراعة أو الصناعة أو الصيد والرعي، لإشباع هواياته وتسجيل مظاهر نشاطاته المتعددة [1].

تنتشر الفنون الصخرية في مواقع عديدة متفرقة ويمكن تحديد أهمها في ما يلي:

١- أم أثر: تمثل أم أثر صخرة مستوية تبلغ أبعادها ١٥×١٠م (لوحة رقم ٤١) (انظر ملحق اللوحات) تقع على ارتفاع نحو١٥م على قمة تل جبلي شديد الوعورة على بعد ٢كلم شمال منبع وادي واسط (الهوية) رافد وادي نخلة، ونحو ٢٠كلم جنوب المواقع الأثرية.

٢- وادي شِرْث: تنتشر في وادي شِرْث العديد من الفنون الصخرية يتمثل أهمها في صخرة تبلغ أبعادها ٢٠×٢ م على ارتفاع ١٥م من بطن وادي شِرْث (لوحة رقم ٤٢) (انظر ملحق اللوحات) وعلى بعد ٢كلم من المواقع الأثرية.

٣- مواقع مختلفة تنتشر بها الرسوم على جوانب الجبال وعلى صخور متناثرة

---

(١) تمثل الفنون الصخرية المنتشرة في كافة أنحاء المملكة العربية السعودية، العنصر الآثاري الأكثر ثراءً وتنوعاً.وحيث إن تلك الفنون الصخرية أُبدعت في مراحل حضارية مختلفة امتدت على فترات زمنية طويلة وبأساليب مدارس فنية متعددة وصورت جوانب مختلفة من النشاطات الحضارية، فإن تصنيفها زمنياً يعد أمراً صعباً وبذلت جهوداً علمية كبيرة في هذا الصدد منها مشروع وكالة الآثار والمتاحف لتحليل وتوثيق النقوش والرسوم الصخرية ودراسة أنائي الذي قسّم فيها تأريخ الفنون الصخرية في المملكة إلى: عصر الصيد والرعي القديم (٦٠٠٠ق.م.- ٤٠٠٠ق.م.) وعصر الصيد والرعي الوسيط (٤٠٠٠- ق.م.-٢٠٠٠ق.م.)وعصر الصيد والرعي الحديث (١٢٠٠ق.م.-٥٠٠ ق.م.)وعصر الكتابة(٦٥٠م-١٠٠٠م)والعصر الإسلامي (بعد عام ٦٢٢م).ودراسة مجيد خان الذي حاول وضع تسلسل زمني للرسومات الصخرية في وادي ضم على بعد ٤٥كلم شمال غرب مدينة تبوك وأرجع أقدم الرسوم إلى الفترة (٦٠٠٠ق.م.-٥٠٠٠ق.م) وأحدثها إلى (١٥٠٠ ق.م.-٧٠٠ ق.م.). على الرغم من كل تلك الجهود من الجهات الأكاديمية ومن الباحثين، فإنه في ظل غياب أدلة مباشرة تثبت تأريخ تلك الفنون، تظل التقديرات الزمنية لها مبدئية ومبنية على الاحتمالات (الأمين، ١٤١٤هـ، ص ٣٤).

في بطون الوديان (لوحة رقم٤٣) (انظر ملحق اللوحات) والسهول والتلال المنعزلة.

و تتصف الرسوم الصخرية على اختلاف مواقعها بأربع خصائص رئيسة هي:

١- اختلاف تاريخ إبداع الرسوم الصخرية بدالّة الفارق التقادمي بينها (اختلاف لون غشاء العتق[١]).

٢- ازدحام الصخور الكبيرة المساحة بعدد من الرسوم والرموز والكتابات المتداخلة، مما يرجح إضافات متتالية من حضارات مختلفة عبر العصور المتعاقبة.

٣- اختلاف أسلوب تنفيذ الرسوم، حيث تتراوح بين النقر على الصخر لتشكيل أخاديد أو قطوع أو شروخ وأسلوب حك الحجر، حيث يتم خدش سطح الصخر بالحك أو الكشط لصنع خطوط فاتحة تمثل الرسم، تتضح معالمها على سطح الصخر الداكن اللون.

٤-كثافة الرسوم الصخرية في الأودية وقرب منابع المياه، وهو ما يبين أن مصادر المياه كانت مواقع التقاء لنشاطات الفنانين ومن ثم تجمع أعداداً كبيرةً منهم، وبمرور الوقت تحولت تلك المواقع إلى منتديات للتبادل الثقافي والاجتماعي.

وتتضمن الفنون الصخرية مظاهر النشاط الاقتصادي والاجتماعي في موقع شِرْث على النحو التالي :

---

(١) غشاء العتق: تتعرض الصخور الظاهرة على سطح الأرض لفعل التجوية التي تتمثل أدواتها بالرياح والأمطار واختلاف درجات الحرارة.وتنقسم التجوية إلى قسمين هما: التجوية الميكانيكية التي تعمل على تفتت الصخر وتفتيته والتجوية الكيميائية التي ينجم عنها تحلل الصخر وإعادة تشكيلة بألوان جديدة تميل إلى اللون الداكن كلما تقادم به الزمن(غشاء العتق) وهو الأمر الذي يقدم قرينة مساعدة للآثاري في محاولة وضع تأريخ تقريبي للأثر المحفور أو المرسوم على الصخور.

أ) النشاطات الاقتصادية: الرعي، الصيد والزراعة

حمل المحتوى الحيواني والنباتي في الجانب التصويري من الفنون الصخرية معلومات ثمينة عن نشاطات الإنسان الاقتصادية .وتتمثل قيمة ما أبدعته أنامل الإنسان في تصوير حديقة الحيوان الطبيعية المحيطة به في ثلاث حقائق جوهرية هي :

١- ثراء البيئة الطبيعية بفصائل متعددة من الحيوانات والطيور (أبقار، زراف، خيل، وعول، غزلان، إبل، ماعز برية، كلاب، نعام، دجاج بري... إلخ) ومن المؤكد أن أي من الرسامين لم يكن في استطاعته أن يبدع تلك الرسوم الحيوانية بملامحها الدقيقة دون أن يكون شاهد الحيوانات أو هي مألوفة لديه.كما ظهرت رسوم لحيوانات من الصعب التعرف عليها ويبدو أنها لحيوانات مفترسه كان لا يراها الإنسان إلا نادراً.

٢- يمثل تعدد أنواع الحيوانات دلالات التغير المناخي والبيئي، حيث يتبع تعاقب دورات الرطوبة والجفاف وآثارها في التغيرات البيئية، انقراض أو تكاثر أنواع محددة من الحيوانات. فالعلاقة بين الحيوان والنبات في هذه البيئة السهلية طردية تماماً فيكون غني الثروة الحيوانية بقدر كثافة الغطاء النباتي.

٣- المساندة الذي تقدمه الرسوم الحيوانية كقرينة مساعدة في تحديد تقريبي لتاريخ وجود الإنسان وتجسيد سمات حضارته.

ويقدم المحتوى الحيواني والنباتي في الفنون الصخرية في موقع شِرْثْ العديد من القرائن لممارسة الإنسان لحرف الرعي والصيد والزراعة :

• **الرعي**: حفلت صخرة وادي شِرثْ برسم صخري لبقرة (لوحة رقم ٤٤) (انظر ملحق اللوحات) ولثور غاية في الدقة والإتقان (لوحة رقم ٤٥) (انظر ملحق اللوحات) ويبين تنفيذ الرسم بتلك الخصائص التفصيلية عن وجود الأبقار في البيئة، الأمر الذي يعطي انطباع عن ظروف مناخية رطبة ومعتدلة وأراضي مكسوة

بغابات شجيرية يتخللها غطاء عشبي رعوي كثيف.فالمعروف عن تلك الحيوانات شراهتها في شرب المياه واستهلاكها لكميات كبيرة من الغذاء يوميا .يتمتع هذا الحيوان بقيمة اقتصادية كبيرة في حياة الإنسان القديم فالأبقار وفرت اللحوم والألبان ومشتقاتها والجلود واستخدمت الثيران في جر العربات وحرث الأرض.كما تؤكد رسوم السلاحف (لوحة رقم ٤٦) (انظر ملحق اللوحات) وربما التماسيح (لوحة رقم ٤٧) (انظر ملحق اللوحات) البيئة الرطبة السائدة آنذاك ، بوجود بحيرات المياه العذبة وهي البيئة المناسبة لهذا النوع من الحيوانات البرمائية.

• **الصيد:** بدأت ملامح المناخ في التبدل التدريجي منذ دخول العصر الحجري الحديث المبكر من حالة الرطوبة والاعتدال الحراري والغطاء النباتي الكثيف إلى حالة الجفاف والحرارة العالية وقلة النباتات ، ومما يؤكد حدوث تلك المرحلة الانتقالية هو غلبة الرسوم الصخرية لحيوانات السهوب والصحراء كالخيل(٤٨) والزراف (٤٩) والإبل(لوحة رقم ٥٠أ ، ب) (انظر ملحق اللوحات) والماعز البري(لوحة رقم ٥١) (انظر ملحق اللوحات) وفصائل المها (لوحة رقم ٥٢) (انظر ملحق اللوحات) والغزلان والوعول(لوحة رقم ٥٣) (انظر ملحق اللوحات) وطيور النعام وشبيهاتها(لوحة ٥٤ أ ، ب ، ج ، د ، هـ) وهي القادرة على التكيف مع المستجدات البيئية[1] من قلة الغذاء والماء.

---

(١) حين حل عصر الجفاف بدرجات حرارته العالية وقلة أمطاره ، سادت ثدييات وطيور الصحراء المتميزة بتواضع طلبها على الغذاء والماء ومن أهمها ما يلي :

• الزراف : ظهرت الزراف مع مجموعة حيوانات الصحراء نظرا لوجود أشجار السنط بكثرة في المنطقة وهي الغذاء المفضل للزراف ، والمعروف أن هذا الحيوان أنقرض تماما من شبه الجزيرة العربية ويوجد في الوقت الحاضر في إقليم السافانا الإفريقية (إقليم الحشائش الحارة). =

وتروي الرسوم الصخرية التطور الكبير في عمليات صيد الطرائد والذي ارتبط أساساً بتغير علاقة الإنسان بالحيوان، إذ تم استئناس الخيل والإبل وتم تطويعها وتدريبها واستخدامها في النقل والحرب والمساعدة في صيد حيوانات كبيرة الحجم وسريعة

= • الوعول والمها والغزلان والماعز البري: وهي حيوانات مجترة لها قرون مجوفة والتي غالبا ما تكون مستقيمة أو ملتوية وغير متفرعة فالوعول (البدن) لها قرون طويلة وملتوية إلى الخلف بشكل شبه دائرة، وسيقانه قصيرة، إلا أنها قوية يستطيع بها الوعل تسلق الصخور الوعرة المرتفعة مما يجعل صيده صعباً، إلا عند نزوله إلى البرك والمستنقعات .ويتميز المها العربي (الوضيحي)عن بقية البقريات بقرونه الطويلة(٥٠-٧٠سم)والتي غالبا ما تكون مستقيمة أو شبه مستقيمة، ويعد هذا الحيوان من أجمل الحيوانات البرية، فاسمه (الوضيحي)مشتق من وضوح لونه الأبيض، كما أنه يشتهر بعيونه الواسعة الجميلة التي ضرب بها المثل.وكان يعيش في المناطق الرملية.وتضم فصيلة الغزلان أنواع متعددة كالغزال الأدمي (العربي) والغزال العفري وغزال الريم وهذه =الحيوانات جميلة ورشيقة وسريعة العدو، فأرجلها دقيقة وطويلة وأجسامها نحيلة و متناسقة.ومن أهم ما تتميز به هذه الحيوانات هو قدرتها على التأقلم مع قلة المياه حيث يمكن أن تكتفي بالماء المتوفر في النباتات .

• طيور الطرائد : تظهر الرسوم الصخرية ثراء البيئة الطبيعية بطيور الطرائد كالنعام العربية والدجاج الحبشي والطيور الشبيهة بها مما يبين مكانة تلك الطيور في الثروة الحيوانية للإنسان القديم في المنطقة (غندور، ١٩٨٧م، ص٣٥).

وتجدر الإشارة إلى النعام يشتهر بكونه طائرا اقتصاديا مهما حيث يتنوع إنتاجه الغزير من اللحم والجلد والريش والبيض.كما كان له أهمية دينية كبرى، إذ يعتقد أن بيضه كان يستخدم لشعائر دينية متعددة (الذييب، ٢٠٠٥، ص ١٢٣)، ومن المعروف أن أجناس عائلة البقريات (من وعول ومها وغزلان وماعز بري) وطيور الطرائد من النعام والدجاج البري وشبيهاتها التي كانت تعيش بأعداداً= =كبيرةً وحتى وقت قريب في صحارى المملكة العربية السعودية تعرضت لحملات صيد جائرة متهورة، زاد في شدتها وظلمها استخدام السيارات والأسلحة النارية ، أدت إلى الانقراض شبه التام لتلك الثروة الحيوانية التاريخية. .وقد حفز هذا التدهور القاسي في عناصر البيئة الطبيعية الحكومة السعودية لإنشاء الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها التي نجحت في إعادة توطين تلك الحيوانات في بيئاتها الطبيعية الأصلية عبر إنشاء محميات طبيعية خاصة بها في كل أنحاء البلاد.

العدو، فالخيل عاشت في السهوب حيث كانت تقتات على الأعشاب القصيرة الغنية في قيمتها الغذائية، وقد لعبت الخيل دوراً جوهرياً في الحضارة فهي وسيلة نقل سريعة وعنصر حاسم في القتال ووسيلة لقنص الطرائد السريعة والألعاب الترفيهية، إضافة لجمالها ودلالاتها على الثراء والمكانة الاجتماعية.

أما الإبل فكان لكثرتها في اللوحات الصخرية إيذاناً بدخول المنطقة عصر الجفاف الشديد، حيث تتميز الإبل العربية عن بقية العائلة الجملية بأنها ذو سنام واحد وبقدرتها الهائلة على تحمل العطش والجوع والتكيف مع ظروف المناخ الصحراوي الشديد الحرارة والجفاف فهي بنات البيئة القاحلة بامتياز، إذ يصبرن عن الماء ، ويتزودن من سنامها الدهني بالغذاء لعدة أيام، وتأكل من الأشجار الشوكية أبرية الورق حيث يساعدها في ذلك شفاهها المشقوقتان، وتساعدها الآذان الصغيرة والغزيرة الشعر والرموش الطويلة على العيون في تصديها للعواصف الرملية، أما أرجلها ذوات الأخفاف فهي تسهل له السير فوق الرمال الناعمة.كما أنها من الحيوانات الصديقة للبيئة بعد التغير إلى حالة الجفاف، فهي تأكل من الأطراف العليا للأشجار وبذلك فهي لا تتلف الأشجار ولا المراعى بعكس الأغنام.إضافة لشدة ذكائها في معرفة الطريق والوصول إلى أماكن الشرب الخاصة به.ولذلك فليس من المستغرب أن يحتفي بها الفنان ويعدد وينوع رسومها على الصخور بل ويدفنها قرب مسكنه وذلك تقديراً لما يكنه من احترام وقدسية لهذا الحيوانات رفيقه ومعينه في البيئة القاسية.

أبدع فنانو شِرْث في تصوير جوانب عديدة من طبيعة وفعاليات حرفة الصيد مثل تقاليد الشروع في رحلة الصيد كرسم فرسان القبيلة وهم في موكب فخم قبيل الانطلاق (لوحة رقم ٥٥) (انظر ملحق اللوحات) وشجاعة الفارس في مواجهة مباشرة مع الوحش الضاري (لوحة رقم ٥٦) (انظر ملحق اللوحات) وعرض

للمهارات العالية للصيادين في التصويب على الطرائد(لوحة رقم ٥٧أ، ب، ج) (انظر ملحق اللوحات) ونصب الفخاخ (لوحة رقم ٥٨) (انظر ملحق اللوحات) وصيد الوعول بالحبال (لوحة رقم ٥٩) (انظر ملحق اللوحات) وصيد النعام وشبيهاتها بالرماح[1] (لوحة رقم ٦٠) (انظر ملحق اللوحات) ومطاردة النعام بالجمال(لوحة رقم ٦١) (انظر ملحق اللوحات).

تبرهن الأعمال الفنية الخاصة بالصيد على قوة الصياد وتركيزه العالي في مطاردة هدف متحرك سريع الحركة.ويبين استخدام الحبال في الصيد على القدرة في تسخير الحصان السريع والجمل البطيء في إدارة وصيد وترويض حيوانات البيئة، حيث اشتهر بذلك الرعاة في العالم الجديد في صيدهم للأبقار الوحشية من على ظهور الخيل واعتبروا ذلك جزءاً رئيساً من تراث القارات الأمريكية الثلاث.ولعله استنتاج طموح في الاعتقاد أن استخدام الحبال لم يكن يهدف فقط لجر الصيد الثقيل الوزن من الوعول والنعام مثلا، بل إلى الإمساك بالطريدة حية، وبالتالي هي بداية محاولات الإنسان لاستئناس الحيوان وإكثارة عبر التربية الخاصة.

وتشير كثرة رسوم القنص إلى وفرة طرائد الصيد واستمرار وجود غطاء نباتي وهو ما يُرَجِّح أن الإنسان في موقع شِرْثْ عرف النار واستأنسها بحكم وجود المواد اللازمة من الأحجار البركانية المُشَظَّاة الصالحة لتوليد الشرار والأخشاب ثم استثمرها في السيطرة على موارد بيئته والتحكم بها، فاستغلها في تدفئة منزلة وحماية نفسه من

(١) يقدر طول الرمح بنحو ثمانية أمتار ويحتمل أن يكون مكون من جزأين، جزء خفيف الوزن يمثل قناة خشبية طويلة وجزء هو نصل معدني مثبت في رأس الرمح.ويثبت ذلك توفر الأخشاب والدقة في تصنيع نصال الصيد الخفيفة الوزن والشديدة الفاعلية. وقد وجدت رسوم كثيرة للرماح الطويلة في أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية كما في رسم الإله كهل في قرية الفاو وهو ممسك برمحين يصل طول كل واحد منها إلى عشرة أمتار(الأنصاري، ١٩٨٢م، ص ٢٤).

الحيوانات المفترسة و في طهو الطعام الذي أصبح مادة سهلة الهضم والتناول.ومن المتوقع أن اللحوم المشوية الحمراء من الوعول والغزلان واللحوم البيضاء من النعام وشبيهاتها كانت تظهر دائماً على المائدة، وإذا أضيف إلى ذلك ما كان يتناوله الإنسان من الخضروات والفواكه البرية فإن الإنسان كان يحصل على غذاء متكامل يبني قدراته الذهنية والعضلية.

• **الزراعة:** بتفاقم حدة الجفاف وارتفاع درجات الحرارة في شبه الجزيرة العربية تحولت مساحات شاسعة من المروج الخضراء وما يتخللها من حياة شجرية ثرية وما يسرح بها من عشرات الأنواع من الثدييات العاشبة واللاحمة والحيوانات البرمائية والطيور، إلى أقاليم متصحرة ذوت بها النباتات وصارت المناطق الرعوية شبه رعوية وتدهورت مجتمعات المملكة الحيوانية، فكان أن تفتق ذهن الإنسان على تحوير حضارته لتناسب البيئة الجديدة وجاء الحل في اختراع الزراعة وتربية الحيوانات.و كان موقع شِرْتْ من بين المواقع المهيأة للتكيف مع المستجدات البيئية والتعامل مع النقلة الحضارية الكبرى.

ب) ظروف ازدهار حضارة شِرْتْ في عصر الزراعة

ساعدت عناصر الجغرافيا الطبيعية في استمرار أسباب الحياة والازدهار في موقع شِرِتْ لتوفر العناصر التالية :

• **موارد المياه السطحية:** توفرت لموقع شِرِتْ موارد مائية سطحية غزيرة، بدليل أن مياه الأمطار الجارية كان العامل الحاسم في تشكيل مظاهر السطح الحالية التي تمت معاينتها بالعمل الحقلي في المنطقة .ومن أهم الدلائل الهيدروجيولوجية لعمل المياه الغزيرة التي اتسمت بها بيئة منطقة شِرْتْ وقرن الشطب هو وجود العديد من المجاري المائية والروافد التي تتسم بطول مجاريها الذي يبلغ مئات الكيلومترات، واتساع مجاريها بحيث يصل إلى ٦ كلم وكبر مساحة تصريف الأحواض المائية بحيث تتعدى ٣٠٠ كلم^{2} على ارتفاعات تتخطى ٨٠٠ م على النحو الذي ورد تفصيلة في الجزء

الأول .كما تزخر منطقة شِرْثْ بالعديد من الآبار الأثرية المهجورة كما في آبار الصوير التي تعد عملا هندسياً معمارياً اعجازياً، إذ لا يتعد قطر فوهة البئر متراً واحداً وقد طوي البئر بصخور ضخمة منحوتة بمهارة عالية جداً، ويقدر وزن الصخرة الواحدة بنحو ١٠٠ كلجم(لوحة رقم ٦٢أ) (انظر ملحق اللوحات) .وتوجد آبار أخرى كبئر أم برقة (١١٠٠م) بئر الجذا (١٠٠٠م) وبئر أم الوهب (٩٠٠م) (الشكل رقم ١٨)، إضافة لينابيع أخرى ما تزال تتدفق مياهها حتى اليوم مثل نبع شِرِثْ (١١١٠م) (لوحة رقم ٦٢ب) (انظر ملحق اللوحات) ونبع القطّار (١٣٠٠م) (لوحة رقم ٦٢ج) (انظر ملحق اللوحات)، (الشكل رقم ١٥).

• **التربة** : تعتبر تربة موقع شِرْثْ من أخصب الترب في محافظة العلا.وتكتسي التربة الزراعية الرملية المتأكسدة اللون الأحمر، وهو دليل على التفاعلات الكيماوية التي شكّلت ألوانها خلال الفترات المطيرة التي سادت المنطقة.وقد أثبت تحليل التربة من مواقع مختلفة (الجدول رقم ٦) احتوائها على الطين والرمل.ويناسب هذا النوع من التربة زراعة النخيل والحبوب والفواكه والخضروات.

الجدول رقم (٦). نتائج تحليل التربة في موقع شرث.

رقم العينة	الإحداثي × (شمالاً)	الإحداثي Y (شرقاً)	نسبة الرمل(٪)	نسبة الطين (٪)	نسبة الطفل (٪)	كثافة التربة	نوع التربة
١	٢٦° ٤٣'٨°	٣٨° ٣٣'١°	١٠,٣	٥٨,٠	٣١,٧	١,٢٨	Silt Clay Loam
٢	٢٦° ٤١'٧°	٣٨° ٣٣'٤°	٢٠,٢	٤٧,٧	٣٢,١	١,٢٤	Clay
٣	٢٦° ٤٢'٥°	٣٨° ٣٣'١°	٩٢,٠	٢,٣	٥,٧		Sand
٤	٢٦° ٤٢'١°	٣٨° ٣٣'٨°	٨٥,٨	٥,٧	٧,٥	١,٦٨	Loamy Sand
٥	٢٦° ٤١'٧°	٣٨° ٣٣'٠°	١١,٧	٦٦,٥	٢١,٨	١,٢٤	Clay

المصدر: من عمل الباحثين بالتعاون مع المساحة الجيولوجية.

• **التنوع التضاريسي** : تنتشر السهول المناسبة للزراعة والرعي بشكل واسع تتخللها القيعان و التلال والجبال، .بالإضافة إلى الوفرة في كميات الإشعاع الشمسي اللازمة في سرعة نمو النبات.وما تزال المنطقة حتى الوقت الحاضر تتمتع بغطاءات نباتية جيدة من حيث النوعية والنمو.

ج) دعائم المجتمع الجديد المستقر: الاقتصاد المختلط

تأسس الاقتصاد المختلط بدعامتين أساسيتين هما معرفة الزراعة واستئناس الحيوان واستغلاله ،الأمر الذي دشّن دخول المنطقة عصر الثورة الإنتاجية الأولى في تاريخ البشرية وهي المرحلة الاقتصادية المهمة التي آذنت بنهاية حياة الصيد وظهور الزراعة وصار الإنسان منتجا للطعام بعد أن كان مجرد مستهلك له.هكذا تحول الإنسان من حياة الصيد والركض وراء الطرائد إلى حياة الاستقرار في قرى صغيرة قرب واد أو سهل زراعي استنبت فيها بذور معينة يرعاها حتى تثمر ،إذ أن هذا المجتمع المرتبط بقطعة الأرض وزراعتها كان يعتمد على اشتغال عدد قليل من الأفراد بالزراعة مما كان كافيا لتغذية المجتمع كله ولذلك اشتغل الجزء الباقي بالفنون والصناعة والتجارة ،هكذا بدأت مظاهر المدنيَّة في البزوغ.

• **الزراعة:** لخّصت رسوم أشجار النخيل على جوانب وادي شِرِتْ (لوحة رقم٦٣) (انظر ملحق اللوحات) ،الدور الذي لعبته أشجار النخيل في تأمين مصدر دائم للغذاء وعامل مشجع على التوطين وتشكيل النويات الاجتماعية والسكنية ،فالنخيل ذات إنتاج غزير متنوع فالتمور كانت تمثل أهم مصدر للغذاء والطاقة العالية ،إضافة لقابليتها للتخزين والنقل مسافات طويلة ،وتشكل منتجات النخيل من الأخشاب والجريد والسعف ،مواد خام أولية ووسيطة لصناعات يدوية زراعية ومنزلية ،كما تقوم النخلة بوظيفة بيئية حيوية فهي بمثابة مَصَدّ للرياح

وتلطف من درجات العالية وإمكانية التحميل عليها بزراعة بعض المحاصيل الحقلية وأشجار الفاكهة.وينبيء تأمل (لوحة رقم ٦٤) (انظر ملحق اللوحات) التي تمثل شجرة صغيرة في حوض عن كونها تجربة لشتل فرخ النخلة (الفسيلة) تمهيدا لنقلها إلى التربة.ولذلك فليس من الغريب أن يحتفي الفنان بالنخيل ويخصّها من دون أشجار بيئته الطبيعية والمستزرعة في تخليدها في رسوم نقشها بأنامله على الصخور.

• **استئناس الحيوان**: طبّق الإنسان الشق الثاني من تركيبة الاقتصاد المختلط، فأضاف لإنتاج الغذاء، تربية الماشية، حيث عمد لتنظيم حياة رعوية ربيَّ فيها حيوانات اختارها وروَّضها ثم استأنسها . ويعتقد أن الماعز و الأغنام كانت باكورة ثروته الحيوانية نظراً لقلة متطلباتها الغذائية من نباتات العلف وبعض الحشائش ومخلفات النباتات التي تترك في الحقول بعد الحصاد ولغزارة إنتاجها من اللحوم والجلود والألبان، ولا شك أن السيطرة على تلك الحيوانات البرية تم بمساعدة الكلب[1] الذي تم استئناسه منذ العصر الحجري القديم المتوسط.

---

(١) يعتقد بأن الكلاب كانت أولى الحيوانات المستأنسة في التاريخ (لوحة رقم ٦٥) (انظر ملحق اللوحات) وهي التي ساعدته بشكل كبير في الاستقرار عبر حراستها للمساكن والممتلكات .وتعددت الآراء حول كيفية استطاعة الإنسان السيطرة على أول الحيوانات البرية وجذبه إلى نطاق الحياة الاجتماعية، لكن الأرجح أن الخطوة الكبرى في هذا الصدد جاءت من الكلب وليس من جانب الإنسان ، ويسهل إدراك ذلك إذا عرفنا أن أنواع الكلاب البرية الصغيرة قليلة الشراسة والخطر كانت تتردد على مساكن الإنسان في العصر الحجري القديم والمتوسط لتلتقط بعض الطعام والبقايا، وبالتدريج تطورت العلاقة بين الإنسان والكلب ،وبدأ الأول يقدم إليه وجبة خاصة، ومن ثم تحول الكلب إلى حيوان أليف ،إلى أن وصل إلى مرحلة الاستئناس الكامل، فاستخدم في الحراسة المنزلية قبل أن يتدرب على حياة الصيد ورعي الماشية التي لم تكتمل بطبيعة الحال إلا مع تقدم الحياة الزراعية في العصر الحجري الحديث. (غلاب، الجوهري، ١٩٨٤م، ص ص ٢٨٦-٢٨٨).

لقد كان لبذر الحبوب ورعي الحيوان آثار اجتماعية واقتصادية عديدة يمكن إجمالها فيما يلي :

١- تعد نشأة الزراعة وإخضاع الحيوان للتكاثر في الأسر تدعيم لجهود الإنسان في مزيد من السيطرة على الموارد الطبيعية وتنظيمها.

٢- تقسيم العمل والتخصصات والمهارات في المجتمع نتيجة لوفرة الطعام فالمجتمع الجديد المرتبط بقطعة الأرض كان يعتمد على اشتغال عدد قليل من الأفراد في الفلاحة ، ما كان كافيا لتغذية المجتمع كله ، ولذلك اشتغل الجزء الباقي بالفنون والصناعة والتجارة وبدأت مظاهر المدنية في البزوغ.

٣-اقتضى استقرار السكان بجوار بعضهم البعض ، ضرورة تنظيم علاقات الحقوق والواجبات بينهم وهو الأمر الذي بلور النظم السياسية والقضائية ومهَّد لقيام الدول.

د) النشاطات الاجتماعية

تضمنت الرسوم الصخرية مشاهد لمناسبات اجتماعية عديدة ، وعلى الرغم من أن الرسوم الآدمية خلت من معالم الوجه وركزت على الخطوط الإطارية والعودية المجسمة بدلاً من النحوت البارزة ، إلا أنها زودت البحث بمعلومات ثمينة عن ممارسة مجتمع المنطقة أنشطة اجتماعية عديدة منها على سبيل المثال ما يلي :

• **الألعاب الرياضية** : تعددت مشاهد الألعاب الرياضية لا سيما ألعاب الفروسية والترفيهية (لوحة رقم ٦٦) (انظر ملحق اللوحات) والمبارزة (لوحة رقم ٦٧) (انظر ملحق اللوحات) وهو الأمر الذي يوضح التقسيم الواضح للوقت ، للعمل والإنتاج أوقاته وللترويح عن النفس مثلها.

وعلى الرغم من أن الرسوم لا توضح نوعية الملابس ،إلا أنه نظراً لكثرة مشاهد الصيد والرياضة بالخيل، فإن السكان هنا ربما قد ارتدوا السروال (البنطال) وهو لباس معظم شعوب العالم اليوم لأنه من الصعب ركوب الخيل والصيد بها دون ارتداء السروال كزي أساسي للصيادين والفرسان.

• **حفلات الرقص** : يظهر على صخرة أم أثر مشهد رقص بين رجل وامرأه (لوحة رقم ٦٨) (انظر ملحق اللوحات) وهو مشهد تذكاري نُفِّذَ بمهارة عالية بحيث بيّن أوضاع الرقص حيث بدت الأذرع والسيقان والجذوع بصورة ملتوية أو منحنية، مما أعطى إيحاء بالحركة والتفاعل بل والاندماج التام في إيقاع الرقص.

أما على صخرة شِرِثْ فتظهر حفلة رقص جماعية قد تكون في مناسبة أعياد أو ممارسة شعائر دينية، ويبدو من ظهور طفل ضمن أفراد المجموعة أن المشهد يصور احتفال عائلي (لوحة رقم ٦٩) (انظر ملحق اللوحات) في أوقات فراغهم، ولعل ذلك يفصح عن أن أنشطة الرقص الترفيهي والديني كانت ضمن الفنون الشعبية والتقاليد الاجتماعية عند سكان شِرْثْ.

كما أن للموسيقى والغناء نصيب من التراث الثقافي لسكان شِرْثْ حيث يكتمل المشهد الاحتفالي بنحت لآلة موسيقية قريبة الشبه بآلة الربابة البدوية(لوحة رقم ٧٠) (انظر ملحق اللوحات).

• **الرموز والعلامات** : تشكل الرموز والعلامات عنصر رئيس من منظومة الفنون الصخرية.وهي تظهر إلى جانب الأشكال الآدمية والحيوانية، حاملة دلالات تتعلق بالشؤون العقائدية والاقتصادية والاجتماعية.ويمكن تصنيف الرموز والعلامات في موقع شِرْثْ وما تتضمنه من أفكار وأوصاف لمظاهر الحياة إلى : الأقدام والأيدي والوسوم والأشكال الهندسية والتجريدية المتنوعة :

- **الأقدام والأيدي:** تنتشر ظاهرة الأقدام والأيدي المنحوتة على الصخور وعلى جدران الكهوف في مواقع عديدة في المملكة العربية السعودية كما في وادي ضم في قرب مدينة تبوك وفي غار الحمام قرب مدينة تيماء وفي كهف جانين قرب مدينة حائل وفي جبل الكوكب والأخدود في مدينة نجران وغيرها.ونجحت كثير من الدراسات في مسح وتوثيق وتصنيف تلك الظاهرة، لكن دون فك ألغازها وتقديم تفسير مؤكد لها أو ربطها بالآثار التي وجدت معها كالأدوات الحجرية والمنشآت والكتابات (الشارخ، ١٤٢٥، ص ص ٧-٥٢).

أولاً- الأقدام: كان من المثير للانتباه كثافة أعداد الأقدام المنحوتة على صخرة أم أثر. ونظراً لتباينها في الأحجام والأشكال وأساليب النحت وإظهار أو إخفاء أصابعها ونحتها مرة مزدوجة (لوحة رقم ٧١أ) (انظر ملحق اللوحات) ومرة مفردة(لوحة رقم ٧١ب) (انظر ملحق اللوحات) فإن الهدف منها يتخطى الجانب التذكاري المحتمل بكونها أقدام أفراد أسر ينتمون لفئات عمرية مختلفة استقروا قرب الموقع أو مروا به، إلى احتمال كون صخرة أم أثر مقدسة لا سيما بقربها من المنابع العليا لوادي نخلة وروافده العديدة .ويمكن الاجتهاد بأن ذلك الفن الصخري يتضمن الأفكار والمعاني التالية:

١- دلالات دينية بكونها إشارات لمعتقدات أو شعائر خاصة في ضوء عدم العثور على منشآت لمعابد أو تماثيل لأصنام.

٢- تمثيل الرسوم كطبعات لأقدام كُهّان أو شيوخ قبائل.

٣- كونها كناية لطلب الرزق باعتبار أن الأقدام هي الوسيلة للحركة والسفر.

٤- يُرَجِّح كل من اختلاف لون غشاء العتق وتقنيات التنفيذ عبر النقر والحفر والحك وتداخل الرسوم في موقع واحد، على أن الأقدام نحتت في مراحل زمنية مختلفة وبالتالي التأكيد على أنها كانت ثقافة متداولة بين حضارات المنطقة.

ثانيـــاً- الأيـــدي: جاءت الأيدي المنحوته(لوحة رقم ٧٢) (انظر ملحق اللوحات)، إما على هيئة أيدي كاملة ضمن رسم لإنسان في صخرة أم أثر و رسوم لأكف مفردة في صخرة شِرْث ويمكن تفسير ظاهرة الأيدي بالاحتمالات التالية:

١- رمزيتها الدينية لبعض المعبودات وقد يكون لها علاقة بالسحر أو الموتى.

٢- اعتبارها تعويذة للحماية من الجن أو قطاع الطرق أو الحيوانات المفترسة.

٣- الوقاية من الحسد وتفادي الإصابة بالعين.وهذا التقليد ما يزال متداولاً بين شعوب المنطقة في الوقت الحاضر.وقد يتضح هذا الهدف من المبالغة في رسم الأيدي الكاملة.

٤- تقديم القرابين والنذور للآلهة أو الجان لطالبي الغفران أو العلاج الروحي.

٥- دلالاتها كنوع من القسم أو العهد أو الحلف بين أفراد أو جماعات للتضامن أو الوحدة.

- **الوسوم:** هي عبارة عن عناصر هندسية وتجريدية جاءت على هيئة دوائر ومستطيلات وأشكال تجريدية أخرى حفرت على الصخور بعدة وسائل كالنقر والحفر الغائر والكشط .وهي تنتشر في موقع شِرث وفي أماكن عديدة في الأودية وجوانب الجبال وعند الينابيع والآبار.[1]

---

(١) تم توثيق نحو ٤٠٠٠ وسم في مختلف مناطق المملكة العربية السعودية عبر مشروع المسح الأثري الشامل للكتابات والفنون الصخرية لوكالة الآثار والمتاحف .ويعتقد أن تلك الوسوم تعود لنحو ٥٥٠٠ سنة=

يمكن اعتبار الوسوم بمثابة سجل تاريخي ورمز ثقافي أو مؤشر اتصالي لحضارة الموقع . وتتجلى أهميتها في الجوانب التالية :

١-الاستدلال على هوية القبائل التي كانت تستقر في الموقع وما حوله.ويؤكد استمرار استخدام الوسوم في العصور الحديثة ، عبور هذا المفهوم الثقافي عشرات القرون الخالية لأجيال متعاقبة كرمز للانتماء القبلي وعمق التفاعلات الثقافية الإقليمية(لوحة رقم ٧٣) (انظر ملحق اللوحات).

٢- يشير تجمع الوسوم وتنوعها حالة السلم السائدة والوحدة الاجتماعية وسيادة النظام وحفظ الحقوق الفردية والجماعية ، وهذا لا يتم في مجتمع عشائري ، إلا في ظل سلطة قوية ومستقرة.

٣- تعكس كثرة الوسوم الدائرية الخاصة بملكية الماشية (لوحة رقم ٧٤) (انظر ملحق اللوحات) ازدهار الاقتصاد الرعوي والزراعي وارتفاع مستوى معيشة السكان.

٤- ترجح مصاحبة الوسوم للكتابات القديمة (لوحة رقم ٧٥) (انظر ملحق اللوحات) أنها كانت بمثابة نظام مبكر للكتابة قبل اختراع الأبجدية لا سيما وأن بعض الوسوم تشابه بعض حروف الأبجدية العربية القديمة كالثمودية من حيث الشكل والتركيب والتصميم .ومن المحتمل إنها استخدمت للتعبير عن الحرف الأول لأسم فرد أو قبيلة كرمز للاختصار في الفن الصخري .وإذا صح هذا الاستنتاج فهو سبق لحضارة

= من الوقت الحاضر.وتتشابه الوسوم التي وجدت ضمن الفنون الصخرية في المملكة العربية السعودية مع كل من الكتابات القديمة خاصة المسند الشمالي والجنوبي ومع العلامات الرمزية المكتشفة في أوروبا وإفريقيا واستراليا والعائدة لفترات مختلفة من العصور الحجرية ، مما يؤكد أن الوسوم ظاهرة عالمية لنظام اتصال ثقافي اجتماعي بين حضارات ما قبل التاريخ. (خان ، ١٤٢١هـ، ص ص ١٩- ٢٣).

الموقع في استخدام الصيغ المختصرة للأسماء الطويلة توفيراً للوقت والجهد خاصة وأن معظم الوسوم حفرت على سطوح الصخور الصلبة.

احتمالية تضمين الوسوم لفعاليات قانونية حيث يبين وسم جغرافي نقش على صخرة أم أثر، محاكاته لشبكة وادي نخلة وروافده وقد يكون ذلك صك ملكية لأحدى القبائل لتلك الروافد جرى توثيقه خرائطياً على الصخر (لوحة رقم ٧٦) (انظر ملحق اللوحات).

– **رموز وعلامات أخرى:** توجد أشكال أخرى كدائرة كبيرة يحيط بها عدد من الدوائر الصغيرة وأشكال تجريدية بيضاوية وعلامات متعرجة ومتموجة، ويصعب تفسير تلك الرموز أو العلاقة بينها ، لكن الاحتمالات متعددة من الهدف من رسمها، فهي إما تعبر عن رموز دينية لآلهة متعددة أو تمائم وتعويذات سحرية(لوحة رقم ٧٧) (انظر ملحق اللوحات)، لكن المؤكد أن تلك العناصر مخصصة لأغراض ودلالات تكمن حقيقة معانيها الرمزية في ذهن من رسمها وبالتالي فهي مقتصرة على ثقافة معينة لمجتمع محلي.

هـ) الكتابات القديمة

تمثل الكتابات القديمة جزء من جهود الإنسان في بناء الحضارة الإنسانية حيث شارك بفعالية في ابتكار وتطوير وسيلة عظيمة القيمة، حولت الكلمة المسموعة إلى كلمة مرئية، انتقلت معها البشرية من مرحلة الحضارة الشفوية في عصر ما قبل التاريخ إلى مرحلة الحضارة المكتوبة في عصر التاريخ.

أسفرت الدراسة الميدانية عن رصد ثلاثة أنواع من الكتابات القديمة في موقع شِرْث وما حوله هي : الكتابات الثمودية، الكتابات النبطية والكتابات العربية بالخط الحجازي المبكر:

• **النصوص الثمودية** : كتب سكان شمال شبه الجزيرة العربية نقوشهم بخط عرف بالخط الثمودي طوال مرحلة تزيد على ألف ومائتي عام قبل الإسلام وتحديداً خلال الفترة الواقعة بين القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد.ويمتاز هذا الخط بانتشاره تقريباً في كل المواقع الأثرية التي حوت رسوما صخرية في شبه الجزيرة العربية(لوحة رقم ٧٨) (انظر ملحق اللوحات)، وبأنه من أكثر الخطوط العربية القديمة استخداماً، ولذلك فهو يستحق صفة الخط الشعبي لشعوب وقبائل شبه الجزيرة العربية. وقد أطلق على هذا النوع من النصوص ، الكتابات الثمودية، استناداً إلى ظهور لفظة هـ ث م د، أي الثمودي، ومن المعروف أن المصادر التاريخية أجمعت على أن قوم ثمود المذكورين في القرآن الكريم كانوا مستقرين في الحجر، ولكن يصعب الجزم بأن النصوص الثمودية التي نعرفها بالثمودية تعود إلى قوم ثمود الوارد ذكرهم في القرآن الكريم (الذييب، ١٩٩٩م، ص ص ٣-٧).

ويحتوي قلم الخط الثمودي على تسعة وعشرين حرفا ، كل واحد منها يمثل صوتا ساكنا من أصوات اللغة (السعيد، المنيف، ١٤٢٣هـ، ص٣٧).

وتتمثل أهم النقوش الثمودية في فيما يلي :

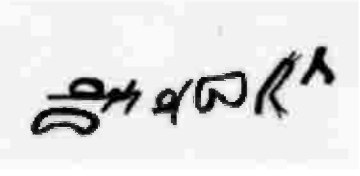

أ) النص : هـ غ م د س د م .

القراءة: :يا (الإله) غمد المغفرة (التوبة)(لوحة رقم ٧٩أ) (انظر ملحق اللوحات).

يعود هذا النقش إلى الفترة الثمودية المبكرة أو المتوسطة ، وهو نص دعوي (ديني) يبتهل به الكاتب إلى إله الخصب (غمد) بطلب المغفرة وهو يبدي الندم على مافعله بدليل أن السدم يعني الندم والحزن ويقال رجل سَدِم نَدِم(لسان العرب، مج ١٢ ، ص ص ٢٨٣-٢٨٤). وقد ورد ذكر الإله (غمد)في الكثير من النقوش الثمودية (الذييب، ١٩٩٩م، ص ص ٩٦-٩٩).

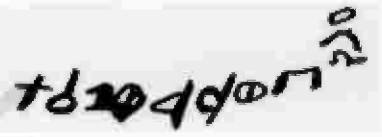

ب) النص :ج ر ي بْ ودد و ل ي .

القراءة : جري بن وداد (لوحة رقم ٧٩ب) (انظر ملحق اللوحات).

هذا النقش يحمل اسم فرد هو جري بن وداد.وكمعظم النقوش الثمودية فإن هذا النص التذكاري القصير يحتمل قراءتين إحداهما المذكورة أعلاه، وتقرأ الأخرى على النحو التالي :

النص : ج ر ي بْ و د د و ل ي.

القراءة : جري حبّ (ودّ) والي .

ج) النص : ح ل ب ع ت ج .

القراءة : حل بن عتج(عاتج) (لوحة٧٩ج) (انظر ملحق اللوحات).

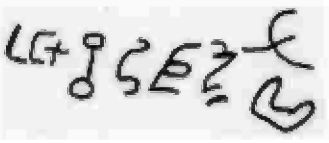

د) النص : ل ر ت ث ف د أ م .

القراءة : راتث (الذي) عاشر .... (لوحة رقم ٧٩د) (انظر ملحق اللوحات).

يعد هذا النص طريفاً في مضمونه ، إذ أن كاتبه (رتاث) أراد أن يوثّق لقاءه الحميم بحبيبته ، وقد عمد إلى كتابة اسمها بأحرف تصعب قراءتها ، وذلك ليخفي شخصيتها.ومما يزيد في أهمية هذا النص هو تصوير الموعد الغرامي برسم صخري واضح يمثل مشهداً راقصا بين رجل و امرأة (لوحة رقم ٦٨) (انظر ملحق اللوحات). والجدير بالذكر أن الصخرة المستوية التي نقش عليها النص والرسم ترتفع فوق تل جبلي وعر يبلغ ارتفاعه نحو ١٥م ، ولا يتم الوصول إليها إلا عبر الزحف على الأيدي والأرجل عبر الصخور الملساء شبه العمودية.

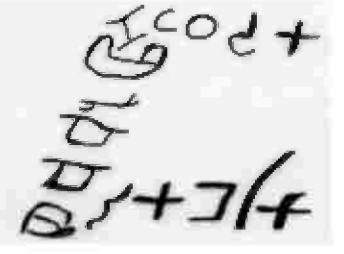

هـ) النص : و د د ا م تْ (ب ن) ع ف ت .

القراءة : تحيات أمة بن عفة (لوحة ٧٩هـ ، و) (انظر ملحق اللوحات).

تدل أشكال بعض حروف هذا النقش التذكاري مثل الدال والألف، على أنه من النصوص العائدة إلى المرحلة الثمودية المتأخرة خلال الفترة من القرن الأول ق.م. وحتى القرن الرابع الميلادي (الذييب ، ١٩٩٩ ، ص ١٩٦).

و) النص: ن ت ر ل ت.

القراءة: نترالات(اللات) (لوحة رقم ٧٩هـ، و) (انظر ملحق اللوحات) واللات هو معبود عربي قديم عُبد في أنحاء مختلفة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام.

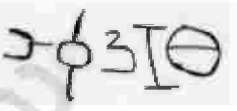

ز) النص : وزن ق س .

القراءة :وهذا قس (وأنا قيس)(لوحة رقم ٧٩ز) (انظر ملحق اللوحات).

يعود النقش الذي ورد فيه العلم قيس -إذا أخذ في الاعتبار أشكال حروفه- إلى الفترة الثمودية المتوسطة (٢٠٠ ق.م.- ٣٠٠ م)

• **النصوص النبطية** : ينسب الخط النبطي الذي تطور عنه الخط العربي الحالي إلى الأنباط اللذين أخذوا قلمهم من الخط الآرامي ،بعد أن طوروا بعض أشكال حروفه، وأضافوا إليه بعض المحسنات مثل وصل حروف الكلمة الواحدة مع بعضها البعض والتفريق بين شكل الحروف في أول الكلمة أو في آخرها (لوحة رقم ٨٠أ، ب) (انظر ملحق اللوحات) (الذييب، ١٩٩٥م، ص ٢٢).

وفيما يلي نماذج للنقوش النبطية :

أ) النص : س ل م م ح رب و ب ر س م ت و

القراءة : تحيات محارب بن سامت (شامت)(لوحة رقم ٨١أ) (انظر ملحق اللوحات).

ب) النص : س ل م س ل ي م و ب ر ن هـ م وْ.

القراءة : تحيات سليم بن ناهم (نهام) (لوحة رقم ٨١ب) (انظر ملحق اللوحات).

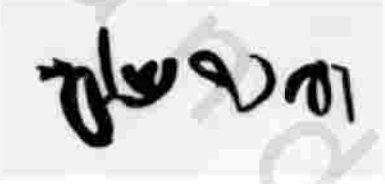

ج) النص : ر هـ ب و س ل م.

القراءة : تحيات رَهْب (لوحة رقم ٨١ج) (انظر ملحق اللوحات).

د) النص : (س ل)م ازرق ب ر غ نْ م و.

القراءة : تحيات أزرق بن غانم .(لوحة رقم ٨١د) (انظر ملحق اللوحات).

هـ) النص : س ل م س م و ب ر ش ت م و
القراءة : تحيات سام (سمو) بن شاتم (شتام).(لوحة رقم ٨١هـ) (انظر ملحق اللوحات).

• **النصوص العربية (بالخط الحجازي المبكر)**: تحتل الكتابة العربية مكانة الأخت الصغرى في منظومة الأبجديات السامية التي تعتمد على الأصوات الساكنة والمقاطع المتحركة الطويلة، وتتفق الكتابة العربية مرحليا مع الخط النبطي.[١] تبلغ الأصوات العربية ثمانية وعشرين وتتمتع حروف الكتابة العربية بمرونة فريدة استغلها الفنانون إلى أقصى حد في ظل الحضارة الإسلامية التي تمنع تصوير الكائنات الآدمية والحيوانية، لذلك احتلت الكتابة مكانة كبيرة في الفن الإسلامي.

---

(١) تباينت وجهات النظر حول أصول الكتابة العربية ومن أهمها أن الخط العربي جاء من الشمال وتحديدا من القلم السرياني، وهناك رأي ثان يقول بأن الخط العربي مشتق من خط المسند الجنوبي، أما الرأي الثالث وهو الأرجح فيؤكد اشتقاق الخط العربي من القلم النبطي بالاستناد إلى الأدلة المادية والبليوجرافية.

ويعتقد أن ولادة الحرف العربي كانت في القرنين الأول والثاني الميلاديين حتى اكتمل بنظامه الكتابي العربي المستقل في مطلع القرن السادس الميلادي.ومن بين النقوش الخمسة المكتشفة والتي تمثل التطور الفعلي للحرف العربي كان إثنين منها شامية وجدت في مواقع مختلفة، بينما وجدت النقوش المتبقية في منطقة العُلا.وبناء على ذلك فإن اتجاه الاحتمالات يقوى بترشيح منطقة العُلا لتكون مهداً للأبجدية العربية (المريخي، ١٤٢٨هـ، ص ٥-٩).

يعد الخط الحجازي واحد من أنواع الخطوط العربية التي ظهرت في القرون الهجرية الأولى، وعرفت بالكتابات الحجازية المبكرة التي أخذت شكلاً منتظماً منذ البداية وسرعان ما استبدلت بالكتابة العباسية المبكرة.ويمثل الخط الحجازي الجيل الأول من الكتابة العربية التي سطرت بها المصاحف المبكرة (السعيد، المنيف، ١٤٢٣هـ، ص٧٣). وتعتمد جماليات هذا الخط على امتداداته الأفقية السميكة كما أعطته الامتدادات الرأسية للحروف مظهرا إيقاعيا (عرب، ٢٠٠٥، ص ٢١٩).

ويتبين من استعراض الخصائص الخطية للنصوص العربية بالخط الحجازي المبكر أنها تعود إلى القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) (لوحة رقم ٨٢) (انظر ملحق اللوحات) وقد وجدت جميع النصوص ذات الطابع التذكاري على صخرة أم أثر:

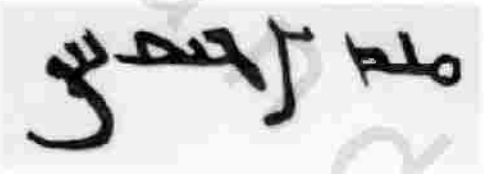

أ) النص: ملظ(ملط)بن حتم يثق[بالله] (لوحة رقم ٨٣أ) (انظر ملحق اللوحات).

التعليق: نقش تذكاري تضمن اسم صاحب النقش ويدعى ملظ(ملط) بن حاتم متبوعا بالصيغة الدينية (يثق بالله)وهي من الصيغ والمصطلحات الدينية التي شاع استخدامها في النقوش الإسلامية منذ فترة مبكرة سواء بهذه الصيغة أو بصيغ وتراكيب مختلفة (المريخي، ١٤٢٧، ص ٦). وقد ورد اسم صاحب النقش واسم أبيه من غير ألف المد وهي ظاهرة تتكرر كثيرا في النقوش الإسلامية.

ب) النص : عجمة بن حسن توك [ل على الله] . (لوحة رقم ٨٣ب) (انظر ملحق اللوحات).

التعليق: نقش تذكاري تضمن اسم صاحب النقش متبوعا بعبارة توكل على الله.

ج) النص : مجدادة بن أحمد (لوحة رقم ٨٣ج) (انظر ملحق اللوحات).

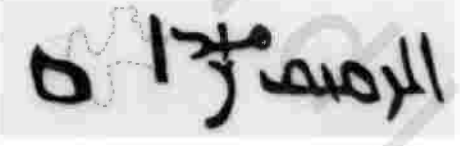

د) النص: الرميق بن مج (ادة) (لوحة رقم ٨٣د) (انظر ملحق اللوحات).

هـ) النص: الرميق بن مجد [ادة] .(لوحة رقم ٨٣ هـ) (انظر ملحق اللوحات).

التعليق : تمثل النقوش (ج ، د ، هـ) نقوش تذكارية اقتصرت على أسماء أصحابها دون أن تتضمن أي من الأدعية الدينية التي عادة ما تتضمنها هذه النوعية من النقوش.كما يبدو على الأرجح أن صاحب النقشين (د)و(هـ) ابن لصاحب النقش (ج).

يتبين مما تقدم أن النقوش التي تم الوصول إليها لا تتضمن معلومات مدونة عن تفاصيل الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وأنها تقتصر على أسماء أعلام عاشوا في المنطقة أو مروا بها تسبقها ألفاظ التحيات ، بالإضافة لنقوش ذات صبغة دينية ، لكنها مع ذلك تحتفظ بقيمتها من حيث التعرف على الأصول العربية للشعوب التي صنعت حضارات المنطقة ، وورود أسماء بعض الآلهة و إلقاء الضوء على المراحل المبكرة لتطور اللغة العربية.

obeikandl.com

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة الجغرافيا التاريخية لموقع شِرْثْ شرقي محافظة العُلا بهدف بناء الماضي الطبيعي والبشري لها عبر الكشف عن تفاصيل أحداثها الجيولوجية وعناصر متحفها التضاريسي ومخزونها التاريخي والآثاري عبر الدراسة الميدانية، وما يمكن استثماره من النتائج في سبيل النهوض بالتنمية الإقليمية للمنطقة.

وعلى ما تقدم في متن البحث، يمكن بلورة الاستنتاجات والتوصيات التالية:

أولاً: الاستنتاجات

١- تطور المسرح الجغرافي

يمتلك موقع شِرْثْ تاريخاً جيولوجياً ومناخياً حافلاً امتد عبر أزمنة مختلفة. وتمثلت الأحداث الجيولوجية والمناخية الكبرى في حركات الرفع الباطنية والصدوع العميقة والدورات المتعاقبة من الرطوبة والجفاف ترجمت في ثراء تضاريسي متميز تشكلت ظاهراته في مجموعتين رئيستين، تألفت الأولى من تضاريس تكوينات الحجر الرملي مثل الشواهد الصخرية والموائد الصحراوية والمنحوتات الصخرية بأحجام وأشكال غاية في التنوع والجمال توزعت وسط الغطاءات الرملية المنقولة بألوانها الذهبية والحمراء، وتتكون المجموعة الثانية من شبكات الأودية وروافدها فعلى امتداد خطوط الانكسارات والصدوع شقت المياه بقوتها الهائلة في الحفر والنقل والإرساب مجار عميقة وطويلة وأحواض تصريف وضفاف واسعة.

٢- قصة الحضارة

يزخر موقع شِرْثْ بثروة آثارية تؤهله بجدارة للانضمام كحلقة رابعة تكمل الثلاثية الحضارية الكبرى في محافظة العُلا والمتمركزة في دَادَان (العُلا) و الحِجِرْ(مدائن صالح)وقَرْحْ (المابيّاتْ) والممتدة خلال عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية.

وتتمثل أهم مكتشفات الفريق العلمي الجغرافي الآثاري من دلائل على حضارة شِرْثْ ما يلي:

أ) **المنشآت المعمارية**: وهي تتنوع ما بين العمارة السكنية والمذيلات الحجرية استخدم فيها صخور مقطعة مُشَذَّبة بني بها بطرق هندسية، والعمارة الجنائزية بأنماطها المتعددة ما بين مقابر مدمجة بالمساكن والتلال الأثرية وما بين مجمعات جنائزية مستقلة، ومنشآت الري حيث الإبداع في حفر الآبار العميقة ذات الفوهات الصغيرة وطيها بالأحجار الكبيرة المصقولة بمهارة عالية جدا.

ب) **الرسوم الصخرية**: بثَّ الفنانون العديد من الرسوم الصخرية في ثنايا حواف الوديان وعلى الصخور المستوية وفوق ينابيع المياه أسست لثقافة محلية وقدَّمت إيضاحات ثمينة عن العوالم الحضارية التي عاشت في المنطقة راصدة بعض جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية وموثقة لعناصر الحياة الفطرية الحيوانية والنباتية والتي انقرضت من بيئة المنطقة في الوقت الحاضر.

ج) **الكتابات القديمة**: سطَّر السكان عشرات الكتابات بالأقلام الثمودية والنبطية والعربية بالخط الحجازي المبكر، مما ساهم في إلقاء الضوء على تتابع حضارات المنطقة وأنساب سكانها ومراحل تطور اللغة العربية المبكرة.

ثانياً: التوصيات

يمكن إسقاط نتائج الدراسة الميدانية في تحديد فرص التنمية الإقليمية في موقع شِرْثْ على النحو التالي:

١- وجود إمكانية مشجعة للتنمية الزراعية لا سيما الشبكات الكثيفة من الوديان بمجاريها العميقة وضفافها الواسعة ومساحات واسعة من السهول ذات الترب الطينية/الرملية عالية الخصوبة، ويدعم ذلك مخزون من المياه الجوفية تدلل عليه وجود الينابيع الطبيعية والآبار الأثرية.

٢- توفير منطقة قَرْنْ الشَّطُبْ بتعقد تضاريسها وارتفاع جبالها وعمق مجاري وديانها، لمشروع إقامة محمية طبيعية حيوانية ونباتية لا سيما وأنها ما تزال تحتفظ ببعض عناصر حياتها الفطرية التي سلمت من الانقراض والتدهور بفعل الحماية الطبيعية التضاريسية وصعوبة الوصول إليها.

٣- توضح نتائج الدراسة الجيولوجية والجيومورفولوجية للمنطقة، ضرورة متابعة الدراسات المتخصصة لشرح وتعليل المظهر التضاريسي لما لها من علاقة مباشرة ووثيقة الصلة بإمكانية استغلال الأرض عبر إعطاء صورة واضحة للشكل الخارجي لسطح الأرض بمقاييسه المختلفة وطبيعة تكويناته، الأمر الذي يعطي تعريفا بالعوامل التي شكلت الظاهرة والمرحلة التي وصلت إليها في دورة حياتها الجيمورفولوجية واحتمالات تغيرها، مما قد يحمل معه خطرا على الإنسان، وما قد يقوم به من نشاط بشري في المنطقة، كما يكشف في الوقت نفسه عن السطوح التضاريسية القديمة المدفونة تحت التكوينات الجيولوجية الأحدث منها.إن من شأن التعرف على مناطق النحت والإرساب وعمليات التفكك والتحلل الصخري القديمة الإرشاد إلى المعادن والمياه الجوفية وتزويد المشاريع العمرانية والهندسية والزراعية بالمعلومات اللازمة عند إنشاء

الطرق والمطارات والسدود والخزانات المائية والمزارع.

٤- يعطي المشهد التاريخي والآثاري والتضاريسي للمنطقة فرص لتأسيس العديد من الأنشطة السياحية مثل السياحة الثقافية بوجود المواقع الأثرية التي كشفت عنها الدراسة والمتضمنة مساكن ومقابر ورسوم صخرية وكتابات قديمة، كما تجد السياحة البيئية ضالتها في التمتع بمشاهدة الخوانق النهرية العظمى والسهول الفيضية الواسعة وتأمل المنحوتات الصخرية المبهرة، إضافة لسياحة صحراوية ترفيهية حيث تنتشر المواقع المناسبة لإقامة المخيمات في بيئة عذراء تزينها الجبال والتلال والكثبان الرملية والنباتات البرية.

٥- ضرورة استكمال أعمال التنقيب و الحفريات والدراسة الأثرية لمعالم حضارات شِرْثْ وإجراء دراسات مقارنة إقليمية لأساليب عمارتها الحجرية السكنية والجنائزية والمدارس الفنية لرسومها ونقوشها الصخرية ومحتويات وأساليب رسمها، والقيمة التاريخية لكتاباتها القديمة، الأمر الذي سيكشف عن تفاصيل تاريخ الأمم والحضارات القديمة وتجارب الأجيال السابقة وإلقاء مزيد من الأضواء على التاريخ الحضاري لمحافظة العُلا بقيمه الثقافية والحضارية وكيفية تفاعله وتبادله لمظاهر التأثر والتأثير مع الحضارات المجاورة.

٦- الحاجة الماسّة للحفاظ على النفائس الأثرية لموقع شِرْثْ والتي تتعرض لعدوان مستمر عبر نبش القبور وتخريب أساسات المباني الحجرية وتشويه الفنون الصخرية والكتابات القديمة.